المـــــرأة

المرأة والرجل من أصل واحد،فقد خلق الله تبارك وتعالى آدم أبا البشر من طين، قال الله تبارك وتعالى :﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ﴾ [المؤمنون : ١٢] ، ثم خلق حواء من آدم ، ثم خلق من آدم وحواء جميع البشر ، قال الله ـ جلَّ وعلا ـ : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً ﴾ [النساء:١] ، فالمرأة من الرجل والرجل من المرأة ﴿ بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ ﴾[آل عمران:١٩٥]،و«إنما النساء شقائق الرجال»(١) .

وكرَّم الله الرجل كما كرَّم المرأة،فهما جميعاً بنو آدم ، قال الله ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً ﴿٧٠﴾ ﴾ [الإسراء:٧٠]،والمرأة متساوية في أغلب التكاليف الشرعية مع الرجل ، وهي مسئولة ومجزية كالرجل عن جميع أعمالها ، قال الله ـ جلَّ وعلا ـ :﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾ [النحل :٩٧] ، وقال ـ جلَّ شأنه ـ : ﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيراً ﴿١٢٤﴾ ﴾ [النساء : ١٢٤] .

والمرأة جعلها الله سكناً وأنساً للرجل ، قال الله ـ تبارك وتعالى ـ : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا ﴾ [الروم:٢١] ، وقال ـ جلَّ شأنه ـ : ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ﴾ [الأعراف : ١٨٩] ، بمعنى : ليأنس بها ويأوي إليها ، ولأن الذكر هو الذي يأوي إلى الأنثى ، وهذا من أكبر أهداف قرار المرأة في البيت ، ولا يقل عن هدف النسل والإنجاب

---

(١) صحيح الجامع.

لأنه ـ تعالى ـ به علل خلق المرأة للرجل ، وعن الإنجاب قال الله ـ عز وجلَّ ـ : ﴿ نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ ﴾ [البقرة : ٢٢٣] ، و يُلحظ فيه معنى الإنجاب والإكثار ، وهل في الوسع تحقيق ذلك كله في غير جو البيت الآمن ؟ ! .

وقال رسول الله ـ ﷺ ـ : « **الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَخَيْرُ مَتَاعِ الدُّنْيَا الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ** » (١)، وعناصر صلاح المرأة تكمن في حسن أدائها لرسالتها كربة بيت تدير شئونه بالحكمة والصبر، وقد تحدث عنها رسول الله ـ ﷺ في قوله : « **خَيْرُ نِسَاءٍ رَكِبْنَ الإِبِلَ صَالِحُو نِسَاءِ قُرَيْشٍ ، أَحْنَاهُ عَلَى وَلَدٍ فِي صِغَرِهِ وَأَرْعَاهُ عَلَى زَوْجٍ فِي ذَاتِ يَدِهِ** » (٢) ، فحنان الأم ـ وهو ما تميزت به نساء قريش ـ يهيئ الجو النفسي اللازم لنمو الصبي ... ورعاية شئون البيت أمر يعتدل به مزاجه ... فيعتدل تبعاً لذلك مزاج البيت كله ، إن تفرغ الزوجة لبيتها يؤتى أطيب الثمرات ... ولا يعوضه مال ولا منصب !!! .

وجعل الله لها ما للرجل من الحقوق وعليها ما عليه من الواجبات ، وزاد للرجل عليهنَّ درجة ، فقال ـ جلَّ شأنه ـ :﴿ **وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ** ﴾ [البقرة : ٢٢٨] ، وهي درجة القوامة ، قال الله ـ تبارك وتعالى ـ : ﴿ **الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ** ﴾ [النساء:٣٤] ، وهي قوامة تنظيمية إصلاحية وليست استبدادية ، لازمة لصلاح المرأة نفسها ولصلاح البيت ، بل ولصلاح المجتمع بأسره ، قال رسول الله ـ ﷺ ـ : « **كل نفس من بني آدم سيد ، فالرجل سيد أهله والمرأة سيدة بيتها** » (٣) ، وجعل التفاضل بينهما في الآخرة بالتقوى ، قال الله : ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ** ﴿١٣﴾ ﴾ [الحجرات :١٣] .

أيتها الأنثى ، لقد اختصك الله ـ تعالى ـ بأن جعلك صاحبة الرحم الذي يبدأ

---

(١) مسلم . (٢) متفق عليه . (٣) صحيح الجامع .

فيه حياة كل البشر ، فإن كانت حواء خلقت من ضلع آدم ـ عليهما السلام ـ فليس رجل أو امرأة في الوجود إلا وخلقا في رحم أنثى ، ففي رحمك يخلق الإنسان، وفى محضنك يتربى وينمو كل الناس ، فأنت الأم ، وأنت الزوجة ، وأنت الإبنة ، وأنت الأخت ، وأنت كل حبيبة ، وأنت كل قرابة رحمية ، أنت الضرورة والأنيس لكل إنسان ، فأنت الحب والحنان ، وبك صلاح المجتمعات والعمران ، أنت أيتها الأنثى شئ عظيم ، لو تعلمين .

وإن رحم المرأة لمن أعظم معجزات الخالق في الخلق ، قال الله ـ تبارك وتعالى ـ : ﴿ **هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ** ﴾ [آل عمران : ٦] ، وقال ـ جلَّ في علاه ـ : ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ** ﴾ [النساء: ١] ، فالرحم والأرحام قد جعلها الله سبباً للتواصل البشرى على امتداد الزمان وانتشار العمران ، والرحم هنا هو المعنى المطابق والمترشّح من رحم الأنثى الذي يبث منه الخلق ، قال رسول الله ـ ﷺ : « **الرَّحِمُ مُعَلَّقَةٌ بِالْعَرْشِ تَقُولُ : مَنْ وَصَلَنِي وَصَلَهُ اللَّهُ ، وَمَنْ قَطَعَنِي قَطَعَهُ اللَّهُ** » (١) . (٢) .

فضل حسن تبعّل المرأة لزوجها ورعايتها لأولادها حملاً وولادة وتربية :

وهو يعدل الجمع والجماعات والجهاد في سبيل الله ، فقد « جاءت أسماء بنت يزيد بن السكن ـ رضي الله عنها ـ إلى النبي ـ ﷺ ـ فقالت إني رسول من ورائي من جماعة نساء المسلمين ، كلهن يقلن بقولي وعلى مثل رأيي ، إن الله بعثك إلى الرجال والنساء فآمنا بك واتبعناك ، ونحن معشر النساء مقصورات مخدرات قواعد بيوت ، وإن الرجال فضّلوا بالجماعات وشهود الجنائز والجهاد،وإذا خرجوا للجهاد حفظنا لهم أموالهم وربينا أولادهم، أفنشاركهم في الأجر يا رسول الله ؟ فالتفت رسول الله إلى أصحابه ـ ﷺ ـ ، فقال : **هل سمعتم مقالة امرأة أحسن**

---

(١) مسلم .

(٢) العشرة الطيبة مع الأولاد وتربيتهم .

سؤالاً عن دينها من هذه ؟، فقالوا : بلى يا رسول الله، فقال رسول الله ـ ﷺ ـ : انصرفي يا أسماء وأعلمي من وراءك من النساء أن حسن تبعل إحداكن لزوجها ، وطلبها لمرضاته، واتباعها لموافقته ، يعدل كل ما ذكرت » (١) ، وفى رواية الطبراني والبزار « **وقليل منكن من يفعله** » .

و« قالت سلاَّمة حاضنة إبراهيم ابن النبي ـ ﷺ ـ : يا رسول الله تبشر الرجال بكل خير ولا تبشر النساء ؟ قال : أصويحباتك دسسنك لهذا ؟ قالت : أجل هُن أمرنني ، **قال : أفلا ترضى إحداكن أنها إذا كانت حاملاً منْ زوجها وهو عنها راض أن لها مثل أجر الصائم القائم في سبيل الله، فإذا أصابها الطلق لم يعلم أهل السماء والأرض ما أخفى لها من قرة أعين ، فإذا وضعت لم يخرج منها جرعة من لبنها ولم يمص مصة إلا كان لها بكل جرعة وبكل مصة حسنة ، فإن أسهرها ليلية كان لها مثل سبعين رقبة تعتقهن في سبيل الله »** (٢) .

وقال رسول الله ـ ﷺ ـ : « **ألا أخبركم بنسائكم من أهل الجنة؟، الودود ، الولود ، العئود على زوجها ، التي إذا آذت أو أوذيت جاءت حتى تأخذ بيد زوجها ثم تقول : والله لا أذوق غمضاً حتى ترضى »** (٣) ، والودود هى المتحببة إلى زوجها ، والولود أي المتصفة بكثرة الأولاد ، وأوذيت أي من قبل الزوج بنحو التقصير في إنفاق أو جور في قسم ، ولا أذوق غمضاً أي لا أذوق نوماً حتى ترضى عنى .

وقال رسول الله ـ ﷺ : « **المرأة في حملها إلى وضعها إلى قضائها كالمرابط في سبيل الله »** (٤) ، وقال أيضاً : « **أنا أول من يفتح باب الجنة إلا أنى أرى امرأة تبادرني فأقول لها مالك ؟ فتقول أنا امرأة قعدتُ على أيتام لي »** (٥) ، قعدت على أيتام أي لم تتزوج بعد وفاة زوجها وقعدت على أيتامها تربيهم .

---

(١) البيهقي في الشعب. (٢) الطبراني ، ورواته ثقات . (٣) النسائي .
(٤) الطبراني. (٥) مجمع الزوائد للهيثمى بإسناد حسن.

وإليك أختي المسلمة مثال لواحدة من هؤلاء النسوة الصالحات اللائي سبقنك لعلك تلحقين بهن ، فقد رُوى أن شريحاً القاضي قابل الشعبي يوماً ، فسأله الشعبي عن حاله في بيته ، فقال له : من عشرين عاماً لم أر ما يغضبني من أهلي ـ أي زوجتي ـ قال له : وكيف ذلك ؟ ، قال شريح : من أول ليلة دخلت على امرأتي رأيت فيها حسناً فاتناً وجمالاً نادراً ، فقلت في نفسي : فلأطَهَّر وأسجد شكراً لله ، فلما خلا البيت من الأصحاب والأصدقاء قمت إليها فمددت يدي نحوها ، فقالت : على رسلك يا أبا أمية كما أنت ، ثم قالت : الحمد لله أحمده وأستعينه وأصلى على محمد وآله ، إنى امرأة غريبة لا علم لي بأخلاقك ، فبين لي ما تحب فآتيه ، وما تكره فأتركه ، وقالت : أنه كان في قومك من تتزوجه من نسائكم وفى قومي من الرجال من هو كفء لي ، ولكن إذا قضى الله أمراً كان مفعولا ، وقد ملكت فاصنع ما أمرك به الله ، إمساك بمعروف أو تسريح بإحسان ، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولك ... ! .

قال شريح : فأحوجتنى ـ والله يا شعبي ـ إلى الخطبة في ذلك الموضع، فقلت : الحمد لله أحمده وأستعينه ، وأصلى على النبي وآله وأسلم ، وبعد : فإنك قلت كلاماً إن ثبتّ عليه يكن ذلك حظك وإن تدّعيه يكن حجة عليك ، أحب كذا وكذا ، وأكره كذا وكذا ، و ما رأيت من حسنة فانشريها ، وما رأيت من سيئة فاستريها ! .

فقالت :كيف محبتك لزيارة أهلي ، قلت : ما أحب أن يُملّنى أصهاري ، فقالت : فمن تحب من جيرانك أن يدخل دارك فآذن له ، ومن تكره فأكره ؟ ، قلت : بنو فلان قوم صالحون وبنو فلان قوم سوء ، قال شريح : فبت معها بأنعم ليلة ، وعشت معها حَولاً لا أرى إلا ما أحب ، فلما كان رأس الحول جئت من مجلس القضاء فإذا بفلانة في البيت ، قلت : من هي ؟ قالوا : ختنك ـ أي أم زوجك ـ ، فالتفتت إلىَّ ، وسألتني :كيف رأيت زوجك؟، قلت : خير زوجة ،

قالت: يا أبا أمية إن المرأة لا تكون أسوأ حالاً منها في حالين: إذا ولدت غلاماً، أو حظيت عند زوجها، فوالله ما حاز الرجال في بيوتهم شراً من المرأة المدللة، فأدِّب ما شئت أن تؤدب، وهذِّب ما شئت أن تهذب،فمكثت معي عشرين عاماً لم أعتب عليها في شئ إلا مرة وكنت لها ظالماً؛وفي ذلك عبرة للنساء وأهلهن!.

المرأة وبلوغ الكمال:

قال رسول الله ـ ﷺ : « **كَمَلَ مِنَ الرِّجَالِ كَثِيرٌ وَلَمْ يَكْمُلْ مِنَ النِّسَاءِ إِلاَّ آسِيَةُ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ وَمَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ ، وَإِنَّ فَضْلَ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ** »(١) ، وقال أيضاً : « **أفضل نساء أهل الجنة خديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد ومريم بنت عمران وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون** »(٢) ، وبلوغ الكمال عند المرأة معناه بلوغها النهاية في جميع الفضائل التي للنساء .

وهذا الحديث يلفتنا إلى عدة أمور منها : توفر الاستعداد الفطري للكمال لدى المرأة ، وأنه إذا كان الكمال ممكناً فبلوغ درجات في طريق الكمال أكثر إمكاناً ؛ وهذا قد يتأتى بالتربية والاكتساب وتفريغ وقت للتعرض لنفحات العلم والعبادة ـ مع مراعاة لظروف المرأة ـ ؛ وقد تصل المرأة إلى درجة الكمال ولكنها تتم بعيداً عن أعين الناس في المجالات النسائية المحضة مثل الإرضاع والحضانة ورعاية الزوج وتربية الأولاد وما يتبع ذلك من نشاطات متعددة ؛ والحديث أيضاً يحفز المرأة على طلب الكمال،فالله ـ تعالى ـ يبتلى الناس ويمتحنهم بوسائل شتى ... وقد ابتلى المرأة بالحيض والنفاس والحمل والولادة والإرضاع والحضانة فعليها الصبر واحتساب الأجر عند الله ومحاولة تعويض ما يفوتها من العبادات ؛ وإذا كان قد كمل من النساء عدد قليل في الأمم السابقة أفليس من حقنا بل من واجبنا أن نأمل في أن يكثر الكمَّل من النساء في أمة حبيب الرحمن ـ **محمد** ـ

(١) متفق عليه. (٢) السلسلة الصحيحة.

صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ وهو قد بعث بأكمل رسالة [١] .

أما عن حديث النبي ـ ﷺ : « ... **وَرَأَيْتُ النَّارَ فَلَمْ أَرَ كَالْيَوْمِ مَنْظَراً قَطُّ وَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا النِّسَاءَ** ، قَالُوا لِمَ يَا رَسُولَ اللَّه ، **قَالَ : بِكُفْرِهِنَّ ، قِيلَ يَكْفُرْنَ بِاللَّه ، قَالَ : يَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ وَيَكْفُرْنَ الإِحْسَانَ ، وَلَوْ أَحْسَنْتَ إِلَى إِحْدَاهُنَّ الدَّهْرَ ثُمَّ رَأَتْ مِنْكَ شَيْئاً قَالَتْ مَا رَأَيْتُ مِنْكَ خَيْراً قَطُّ** »[٢] فيمكن أن تستفيد المرأة منه بأن عدم كفران العشير يقيها شر النار،لأن ذلك ليس أمراً كونياً لا يمكن تفاديه ، وذلك يأتي بالتربية والتوجيه في بيت أبيها **ابتداءً** ، قال الله ـ تبارك وتعالى ـ : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ** ﴾ [التحريم :٦] ،وقال ـ جلَّ شأنه ـ:﴿ **وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا** ﴾ [آل عمران : ٣٧] ، **مما يزكي تقوى الله** ـ عز وجلَّ ـ **وطاعته في قلوبهن ، ثم بتذكر عاقبة** كفران العشير عندما يوسوس لهن الشيطان ـ لعنه الله ـ بذلك ، **أما إذا** غلبهن الشيطان ـ لعنه الله ـ ووقعن في ذلك فعليهن بالاستغفار والصدقة، لقول رسول الله ـ ﷺ : « **يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ تَصَدَّقْنَ وَأَكْثِرْنَ الاسْتِغْفَارَ، فَإِنِّي رَأَيْتُكُنَّ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ** ، فَقَالَتِ امْرَأَةٌ مِنْهُنَّ جَزْلَةٌ : وَمَا لَنَا يَا رَسُولَ اللَّه أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ ، **قَالَ : تُكْثِرْنَ اللَّعْنَ وَتَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ** ... »[٣] ، ففي الحديث أن الاستغفار والصدقة تدفع العذاب وقد تكفر الذنوب التي بين المخلوقين [٤] ؛ وفيه أيضاً توجيه للرجال ليجعلوا كل إحسانهم لنسائهم ابتغاء وجه الله ـ عز وجلَّ ـ ؛ فإذا كفرت النساء بالعشير فإن الله لا يكفره ويبقى الأجر كاملاً عند الله ـ تبارك وتعالى ـ ﴿ **وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ** ﴾ [آل عمران : ١١٥] .

فإن لم تستطع هي بلوغ الكمال فلا أقل من أن تُعين زوجها على بلوغه، فيرفعها الله ـ تبارك وتعالى ـ هي وذريتهما معه إلى الدرجات العلى بفضل الله

---

(١) تحرير المرأة في عصر الرسالة.
(٢) متفق عليه .
(٣) متفق عليه .
(٤) فتح الباري.

- جلَّ وعلا - وبرحمته ، قال رسول الله - ﷺ - : « إن الله ليرفع ذرية المؤمن إليه في درجته وإن كانوا دونه في العمل لتقر بهم عينه ،ثم قرأ ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ ﴾ [الطور : ٢١] ، ثم قال : وما نقصنا الآباء بما أعطينا البنين »[١]، وهذا كما أن زوجات النبي ﷺ جميعاً ، معه في الدرجة تبعاً وإن لم يبلغوا تلك الدرجة بأعمالهن .

ولا تكوني أختي في الله - عز وجلَّ - من الذين قال الله - تبارك وتعالى - فيهن : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِن تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ ﴾ [التغابن : ١٤] ، سواء أكانت هذه العداوة عداوة البغضاء والمحادة ، أم عداوة المحبة الصادَّة الشاغلة عن طاعة الله وتعلم العلم النافع والجهاد في سبيله بالنفس والنفيس وغير ذلك من أعمال البر .... كما ورد في سبب النزول ، فما أكثر ما يفوت العبد من الكمال والفلاح في دينه بسبب زوجته وولده ، فتكوني من الذين شملهم قول نبينا - ﷺ - : « إِنَّمَا الشُّؤْمُ فِي ثَلَاثَةٍ : فِي الْفَرَسِ ، وَالْمَرْأَةِ ، وَالدَّارِ »[٢]والشؤم في المرأة إنما يحصل بسبب العداوة والفتنة للرجل ،كما ذكره ابن حجر عن تقي الدين السبكي[٣] وتكوني أضرّ عليه من اي شيء آخر،كما تفيد صيغة المبالغة «أضرَّ» في الحديث « مَا تَرَكْتُ بَعْدِي فِي النَّاسِ فِتْنَةً أَضَرَّ عَلَى الرِّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ »[٤] فتحمليه على تعاطي ما فيه نقص الدين والعقل ، كحمله على التهالك على طلب الدنيا وشغله عن طلب أمور الدين والعمل للآخرة ،وذلك أشد الفساد .

لذا ينبغي على القائمين على النساء من الآباء أو الأخوة أو الأزواج أن يجتهدوا في إصلاحهن بالتربية والدعاء ، فلقد منَّ الله - عز جلَّ - على نبيه زكريا بعد أن بشَّره بيحيى - عليهما السلام - بإصلاح زوجته فقال : ﴿ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ

---

(١) السلسلة الصحيحة .

(٢) متفق عليه .

(٣) فتح الباري.

(٤) متفق عليه .

وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠]،وكذلك الدولة بوضع المناهج التعليمية المأخوذة من شريعة رب الأرض والسماء ،الداعية إلى الفضيلة وإلى مكارم الأخلاق،وإلى توفير البيئة الصالحة في دور التعليم التي تعين على ذلك فـ« **كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، الإِمَامُ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ...** »(١).

وعلى الرجال أن يعاشروا النساء بالمعروف ، فإن بدر منهن ما يكرهه الرجل فليصبر فـ« **لاَ يَفْرَكْ مُؤْمِنٌ مُؤْمِنَةً ، إِنْ كَرِهَ مِنْهَا خُلُقاً رَضِيَ مِنْهَا آخَرَ، أَوْ قَالَ: غَيْرَهُ** »(٢)، وقال الله ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿**وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا**﴾ [النساء: ١٩]،وليعفو وليصفح فـ« **إِنَّ الْمَرْأَةَ خُلِقَتْ مِنْ ضِلَعٍ ، لَنْ تَسْتَقِيمَ لَكَ عَلَى طَرِيقَةٍ ، فَإِنِ اسْتَمْتَعْتَ بِهَا اسْتَمْتَعْتَ بِهَا وَبِهَا عِوَجٌ،وَإِنْ ذَهَبْتَ تُقِيمُهَا كَسَرْتَهَا،وَكَسْرُهَا طَلاَقُهَا**»(٣) ، و«لن»حرف يفيد نفى الفعل في المستقبل!، وفى رواية « **...وَإِنَّ أَعْوَجَ شَيْءٍ فِي الضِّلَعِ أَعْلاَهُ...** »(٤) أهو العقل ! وقد قال نبينا محمد ـ ﷺ ـ لأمهات المؤمنين لَّما راجعنه في تقديم أبي بكر ـ للصلاة ـ : « **... إنكن صواحب يوسف...** »(٥) يريد أن النساء من شأنهن مراجعة ذي اللُب وأنهن يُظهرن خلاف ما يُبطن ، كما قال في الحديث الآخر: « **مَا رَأَيْتُ مِنْ نَاقِصَاتِ عَقْلٍ وَدِينٍ أَذْهَبَ لِلُبِّ الرَّجُلِ الْحَازِمِ مِنْ إِحْدَاكُنَّ ...** »(٦) ، وعند مسلم « **...أَغْلَبَ لِذِي لُبٍّ مِنْكُنَّ** » ، لذلك ـ أخي الكريم ـ « **...دارها تعش بها** »(٧) ، لكن يبقى الرجل حذراً مما قد يؤدى إلى معصية الله والانشغال عن طاعته فـ« **إِنَّ الدُّنْيَا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ، وَإِنَّ اللَّهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا فَيَنْظُرُ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ، فَاتَّقُوا الدُّنْيَا ، وَاتَّقُوا النِّسَاءَ، فَإِنَّ أَوَّلَ فِتْنَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَتْ فِي النِّسَاءِ** » ، وَفِى رواية أخرى « **لِيَنْظُرَ**

---

(١) متفق عليه . (٢) مسلم. (٣) ، (٤) متفق عليه.
(٥) صحيح سنن بن ماجة. (٦) متفق عليه . (٧) صحيح الجامع .

كَيْفَ تَعْمَلُونَ » [١] .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ :

أكثر ما يفسد الملك والدول طاعة النساء ـ يريد في معصية الله ـ عز وجلَّ ـ ، حيث أنه « **لاَ طَاعَةَ فِي مَعْصِيَةِ اللَّه ، إِنَّمَا الطَّاعَةُ فِي الْمَعْرُوفِ** » [٢] ، فليحذر العاقل من طاعة النساء في ذلك [٣] ، وروى أبو نعيم في « حلية الأولياء » بسنده عن حسان بن عطية قال : « **ما أُتيتْ أمة قط إلا من قِبَل نسائهم** » ولكن لا ينبغي مخالفتهن على الإطلاق كما يظن بعض الناس ، فذلك خلاف العقل والحكمة ، وإنما ينبغي مخالفتهن إذا أشرنَ بما فيه معصية الله ، أما مشاورة المرأة الصالحة وموافقتها في أمور الخير فلا ندامة في أمثالها [٤] .

المـــرأة والإنفـــاق :

البنت ما دامت في بيت **أبيها** فهو المسئول عن الإنفاق عليها ، قال رسول الله ـ ﷺ ـ : « **أَفْضَلُ الصَّدَقَةِ مَا تَرَكَ غِنًى ، وَالْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى ، وَابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ ، تَقُولُ الْمَرْأَةُ إِمَّا أَنْ تُطْعِمَنِي وَإِمَّا أَنْ تُطَلِّقَنِي ، وَيَقُولُ الْعَبْدُ أَطْعِمْنِي وَاسْتَعْمِلْنِي ، وَيَقُولُ الاِبْنُ أَطْعِمْنِي إِلَى مَنْ تَدَعُنِي** » [٥] ، وقال ﷺ : « ... **وَالرَّجُلُ رَاعٍ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُمْ ...** » [٦] ، وقال أيضاً : « **كفى بالمرء إثما أن يضيع من يقوت** » [٧] ، فإذا تزوجت فنفقتها على **زوجها** ، قال الله ـ تبارك وتعالى ـ : ﴿ **الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ** ﴾ [النساء : ٣٤] ، وتقوم **الدولة** مقامهما إذا عجزا أو توفيا ولم يخلفا ما يُغنى المرأة ، لقول رسول الله ـ ﷺ ـ : « **أَنَا أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ ، فَمَنْ مَاتَ وَتَرَكَ مَالاً فَمَالُهُ لِمَوَالِي الْعَصَبَةِ ، وَمَنْ تَرَكَ كَلاًّ أَوْ ضَيَاعاً فَأَنَا وَلِيُّهُ ، فَلْأُدْعَى لَهُ** » [٨] ، والكلُّ هم العيال ومن لا يستقل بأمره ،

---

(١) مسلم.
(٢) متفق عليه
(٣) مجموعة الفتاوى جزء ٢٥ .
(٤) فيض القدير .
(٥) البخاري .
(٦) متفق عليه .
(٧) صحيح الجامع .
(٨) البخاري .

وقال أيضاً : « **أَنَا أَوْلَى بِكُلِّ مُؤْمِنٍ مِنْ نَفْسِه ، مَنْ تَرَكَ مَالاً فَلأَهْلِه ، وَمَنْ تَرَكَ دَيْناً أَوْ ضَيَاعاً فَإِلَيَّ وَعَلَيَّ** » (١) وقال أيضاً ـ ﷺ ـ : « **... فَالأَمِيرُ الذي عَلَى النَّاسِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِه** ... » (٢) .

دور المرأة في طلب العلم وتعليمه لبنات جنسها ، والدعوة إلى الله ـ تبارك وتعالى ـ والتعاون عليه :

قال رسول الله ـ ﷺ ـ : « **طلب العلم فريضة على كل مسلم** » (٣) ،وهو يشمل الرجال والنساء .

لذا ينبغي توفير التعليم المناسب للمرأة بحيث يوفر لها بجانب الأهداف العامة للتربية الإسلامية أمرين :

أولهما : تمكينها من رعاية بيتها وأطفالها أكمل رعاية لتكون جديرة بتحمل مسؤليتها عند الزواج تحقيقاً لقول رسول الله ـ ﷺ : « **... وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ عَلَى بَيْتِ بَعْلِهَا وَوَلَدِهِ وَهِيَ مَسْئُولَةٌ عَنْهُمْ** ... » (٤) .

ثانيهما : تمكينها من إتقان مهنة مناسبة تمارسها عند الحاجة ، سواء أكانت حاجة فردية أم أسرية أم اجتماعية .

وكان من دور المرأة في التعلم وحفظ العلم ونشر دين الله الدور العظيم ، فقد نُقل الكثير من العلم عن أمهات المؤمنين ـ رضي الله عنهن أجمعين ـ فأم **المؤمنين عائشة** ـ رضي الله عنها ـ قد قضت حياتها التي قاربت السبعين عاماً ، تروى حديث رسول الله ـ ﷺ ـ وتفتى في الدين،فتعلم منها الكثير من الصحابة والتابعين رجالاً ونساءً ، فمن النساء مثلاً أختها أم كلثوم بنت أبى بكر الصديق ، وابنتا أخيها عبد الرحمن حفصة وأسماء ، وبنت أختها أم كلثوم، وعائشة بنت طلحة وصفية بنت شيبة ، ومن التابعيات عمرة بنت عبد الرحمن التي كانت في حجر عائشة ـ

---

(١) مسلم .
(٢) متفق عليه .
(٣) صحيح الجامع .
(٤) متفق عليه .

رحمها الله ـ وخيرة أم الحسن البصري وصفية بنت أبى عبيد التي قال عنها ابن معين ـ ثقة حجة ـ وقال ابن سعد : كانت عالمة،وقال عنها الزهري ـ بحر لا ينزف ـ أي علماً ؛ **وكذلك أم المؤمنين أم سلمة** ـ رضي الله عنهن أجمعين ـ روت عنها ابنتها زينب وهند بنت الحارث وصفية بنت شيبة وصفية بنت أبى عبيد زوجة عبد الله بن عمر ، ومن نساء الكوفة عمرة بنت أفعى وأم مبشر وغيرهن كثير، **وأم المؤمنين ميمونة** ـ رضي الله عنها ـ روت عنها من النساء أيضاً مولاتها ندبة والعالية بنت سبيع وأم منبوذ، **وكذلك أم المؤمنين أم حبيبة** ـ رضي الله عنها ـ روت عنها صفية بنت شيبة وزينب بنت أبى سلمة ، وغيرهن . . .

وقد روت النساء في كتب الحديث الستة ، البخاري ومسلم وأبى داود والنسائي وابن ماجة والترمذي ، ٢٧٦٤ حديثاً من أحاديث رسول الله ـ ﷺ ـ منها ٢٥٣٩ حديثاً رواها الصحابيات و٢٢٥ حديثاً رواها غير الصحابيات ، والصحابيات الراويات جميعاً ثبتت لهنَّ العدالة ، أما بالنسبة لغيرهن فهنَّ إما ثقة أو مقبولة أو لا يعرف حالها ـ مستورة ـ أو مجهولة ، منهن ١٥ راوية ثقة و٣٣ راوية مقبولة وما تبقى فهي إما لا يعرف حالها ـ مستورة ـ أو مجهولة .

وقد تعلمت الصحابيات العلم النبوي بإحدى هذه الطرق :

[١] المجالس الخاصة وكذا العامة للمسلمين ، ولا يخفى علينا أن النبي ـ ﷺ ـ قد خص يوماً للنساء يعظهن ويعلمهن أحكام دينهن ، وكنَّ يحضرن العبادات الجماعية في المساجد فيسمعنَّ منه مشافهة ـ ﷺ .

[٢] قدوم النساء إلى البيت النبوي للسؤال ، ومن هذه الأمثلة قدوم زينب امرأة عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنها ـ إلى رسول الله ـ ﷺ ـ تسأله النفقة والصدقة على الزوج والأقربين . . . . . .

[٣] كانت المرأة تغتنم فرصة لقاء النبي ـ ﷺ ـ في الطريق لتسأله ، وقد تعترضه أثناء آداء مناسك الحج ، كما سألته المرأة الخثعمية عن الحج عن

والدها العجوز ، والأخرى التي سارعت ، ورفعت إليه صبيها وسألته « أَلِهَذَا حَجٌّ » (١) ، و...

[٤] وإن كان ما تسأل فيه المرأة مما يستحيى منه عادة وغلب عليها الحياء ، جاءت إلى أزواج النبي ـ ﷺ ـ تسألهن كما فعلت الصحابية التي جاءت لتسأل عن القُبلة للصائم و...

ونشرت الصحابيات ـ كالصحابة ـ ، العلم في البلدان ، فمن رحلت من الصحابيات إلى الأمصار حدَّثت أهل هذه الأمصار بحديث رسول الله ـ ﷺ ـ مثل أم عطية الأنصارية ذهبت إلى البصرة ونزلت بقصر بنى خلف تُحدث بحديث رسول الله ـ ﷺ ـ كما ذكرت ذلك التابعية الجليلة حفصة بنت سيرين وأسماء بنت يزيد بن السكن ؛ فقد روى بن عساكر في تاريخه أنها حدَّثت بحديث رسول الله ـ ﷺ ـ بالشام ؛ وأم المؤمنين عائشة ـ رضي الله عنها ـ لَمَّا قدمت البصرة أيام المطالبة بدم عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ نزلت بقصر عبد الله بن خلف فسمعت منها صفية بنت الحارث ونساء أهل البصرة....وغيرهن كثير؛وهؤلاء النساء سمعن من رسول الله ـ ﷺ ـ العلم وصاحبنه ثم توزعن في الأمصار مع رجالهن حاملات معهن الموروث النبوي المبارك يبثثنه بين الناس علماً وفقهاً (٢) .

وقال الله ـ تبارك وتعالى ـ :﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾] [التوبة: ٧١] ، فعلى الأخت المسلمة الكريمة أن تسهم في بناء المجتمع المسلم المنشود على التقاليد الصالحة والعرف الذي يحرس الفضيلة ويثمر التعاون على البر والتقوى بأن تقاطع كل ما في المجتمع من مساوىء التبرج ، وتعمل على بث الأفكار الناضجة والمبادىء

---

(١) مسلم.

(٢) دور المرأة في حفظ الحديث في القرون الثلاثة الأولى.

القوية في أذهان بنات جنسها مثقفات كن أو غير مثقفات ، ولو أن كلاً منهن فقهت رسالتها الخطيرة وامتلأ ذهنها بالحقائق الصادقة والمعاني السديدة لوجدت في محيطها النسوي من الأعمال الجليلة ما يعلى ذكرها بين أهل السماء والأرض وفى محيط غير المثقفات ملايين من نساء الطبقة الشعبية في أشد الحاجة إلى من يرشدهنَّ ويثقف عقولهنَّ وقلوبهنَّ بما يطهر النفوس ويزيل الجهل والخرافة .

ولتعلم الأخت الكريمة أن أقصر الطرق في التعليم هو القدوة الحسنة وأنها لن تبلغ أن تكون مؤثرة في مجتمعها إلا إذا كانت قوية الشخصية، وإنما تقوى شخصية الفرد وتعظم إذا ترك الهزل من القول وفارغ الحديث وأقام صلب نفسه على الحق في جد ووقار بقوله ولو على نفسه،وليس أهيب في نفوس الناس من ذلك الذي أضنى نفسه برعاية الحق والصبر على تكاليفه حتى عظمت حرمته لديهم وعلت منزلته في نفوسهم فأخذوا عنه وتأثروا به واستجابوا له في غبطة ورضا .

ولتدْعُ الأخت المسلمة كل من في محيطها الخاص ومن أترابها وتذكرهنَّ بالله فإنه يجلو صدأ الغفلة من القلوب ويورثها وجلاً وخشية ويكسبها نزولاً على أمر الله ويفتح لها أبواب الجنة ، ولتأمر بالخير وتنهى عن المنكر وتفقه المسلمات في دينهن وفرائضهن وما جاء به الإسلام ، وتعمل على إيجاد المجتمع الإسلامي الفاضل وأخص خصائص هذا المجتمع الإخاء والحب في الله والغيرة على الإسلام والاعتزاز به [١] .

والمرأة المسلمة هي التربة الخصبة التي تخرج للأمة دائما رجالاً وأبطالاً ... فهى الزهرة النقية التي نبتت في حقل الإسلام وسقيت بماء الوحي وتعطرت بعبير السُّنَّة المباركة ، ففاح عبيرها وشذاها على الكون كله .

والتاريخ يحكى لنا نماذج مشرفة للمرأة المسلمة ... وكيف أنها استطاعت أن تخرج للكون جيلاً فريداً لا نجد له مثيلاً ولا نظيراً ، ولكننا في هذا الزمان الذي

---

(١) الاخوات المسلمات وبناء الاسرة المسلمة.

انتشرت فيه الشبهات والشهوات وانصرف فيه كثير من الناس عن طاعة رب الأرض والسماوات ـ جلَّ وعلا ـ نسيت المرأة المسلمة وظيفتها الأساسية وانشغلت بجمع حطام الدنيا الزائل ، فكانت النتيجة أنها أخرجت لنا جيلاً لا يعرف من الإسلام إلا اسمه،ولا من القرآن إلا رسمه ـ ولا حول ولا قوة إلا بالله . . .

قال الشاعر:

الأم مدرسة إذا أعددتها أعددت شعباً طيب الأعراقِ

فهيا يا بنت خديجة وعائشة وأسماء وصفية لتخرجي للكون نماذج مشرفة كعمر وخالد بن الوليد وسعد بن معاذ ومصعب بن عمير والزبير وطلحة وغيرهم من أصحاب النبي ـ ﷺ ـ نسأل الله ـ عز وجلَّ ـ أن يبارك في نساء المسلمين وأن يحفظهن من كل سوء ، وأن يخرج من نسلهن جيلاً يحاكى الجيل الأول .

فالزبير بن العوام ـ رضي الله عنه ـ فارس رسول الله ـ ﷺ ـ الذي بلغ من بسالته وبطولته أن عدَّه الفاروق ـ رضي الله عنه ـ بألف من الرجال حين أمد به جيش المسلمين في مصر وكتب إلى قائدهم عمرو بن العاص ـ رضي الله عنه ـ يقول : أما بعد فاني أمددتك بأربعة آلاف رجل ، **على كل ألف رجل منهم مقام الألف** ، الزبير بن العوام ، والمقداد بن عمرو ، وعبادة بن الصامت ، ومسلمة بن خالد ـ رضي الله عنهم أجمعين ـ وقد صدقت فراسة الفاروق ـ رضي الله عنه ـ وسجل التاريخ في صفحاته أن الزبير لا يعدل ألفاً فحسب بل يعدل أمة بأسرها ، فقد تسلل إلى الحصن الذي كان يعترض طريق المسلمين وصعد فوق أسواره وألقى بنفسه بين جنود العدو وهو يصيح صيحة الإيمان ـ الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر ـ . . . ثم اندفع إلى باب الحصن ففتحه على مصراعيه واندفع المسلمون فاقتحموا الحصن وقضوا على العدو قبل أن يفيق من ذهوله .

هذا البطل العظيم إنما قامت بتربيته **أمه صفية بنت عبد المطلب** ـ رضي الله عنها ـ عمة النبي ـ ﷺ ـ وأخت حمزة ـ أسدُ الله ـ فقد شبَّ في كنفها ونشأ على

طبعها وتخلق بسجاياها ، لقد توفى عنها زوجها ـ العوام بن خويلد ـ وترك لها طفلاً صغيراً هو ابنها الزبير ، فنشَّأته على الخشونة والبأس ... وربته على الفروسية والحرب ... وجعلت لعبه في برى السهام وإصلاح القسي ودأبت على أن تقذفه في كل مخوفة وتقحمه في كل خطر... فإذا رأته أحجم أو تردد ضربته ضرباً مبرحاً حتى إنها عوتبت في ذلك من قبل أحد أعمامه حيث قال لها ما هكذا يضرب الولد ...إنك تضربينه ضرب مبغضة لا ضرب أم ، فارتجزت قائلة : من قال قد أبغضته فقد كذب ... وإنما أضربه لكي يلبّ ... ويهزم الجيش ... ويأتي بالسلب (١) .

وأمير المؤمنين **معاوية بن أبي سفيان** ـ رضي الله عنهما ـ أريب العرب وألمعيُّها ، ورث عن أمه هند بنت عتبة همة تجاوز الثريا ، وهي القائلة ـ وقد قيل لها ومعاوية وليد بين يديها ، إن عاش معاوية ساد قومه ، **ثكلتُهُ إن لم يسد إلا قومه** ، ولما نعى إليها ولدها يزيد بن أبي سفيان قال لها بعض المعزين : إنا لنرجو أن يكون في معاوية خلف منه ، فقالت : أوَ مِثلُ معاوية يكون خَلَفا من أحد ؟ والله لو جمعت العرب من أقطارها ثم رمى به فيها لخرج من أيها شاء ، وكان معاوية ـ رضي الله عنه ـ إذا نوزع الفخر بالمقدرة وجوذب بالمباهاة بالرأي ، انتسب إلى أمه فصدع أسماع خصمه بقوله : **أنا ابن هند** (٢) .

والخنساء ـ رضي الله عنها ـ التي ملأت الدنيا بكاءً وعويلاً على موت أخيها صخر في الجاهلية ... ها هي بعد أن صاغها الإسلام صياغة باهرة تُقدم في يوم القادسية أولادها الأربعة لينالوا شرف الشهادة ، فكان مما أوصتهم به قولها : يا بنى إنكم أسلمتم طائعين وهاجرتم مختارين،والله الذي لا اله إلا هو إنكم لبنو رجل واحد كما أنكم بنو امرأة واحدة ما هجَّنت حسبكم وما غيَّرت نسبكم،واعلموا أن الدار الآخرة خير من الدار الفانية فـ ﴿ **اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ**

(١) صور من حياة الصحابة. (٢) عودة الحجاب .

تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾ ﴾ [آل عمران : ٢٠٠] ، فإذا رأيتم الحرب قد شمرت عن ساقيها وجللت ناراً على أرواقها فيمموا وطيسها وجالدوا رسيسها تظفروا بالغنم والكرامة في دار الخلد والمقامة ، فلما أصبحوا باشروا القتال بقلوب فتية وأنوف حمية ، فإذا فتر أحدهم ذكَّره أخوته وصيَّة الأم العجوز فزأر كالليث وانطلق كالسهم وانقض كالصاعقة ونزل كقضاء الله على أعداء الله ، وظلوا كذلك حتى استشهدوا واحداً بعد واحد ، رحمهم الله جميعاً،وبلغ الأم نعى الأبطال الأربعة في يوم واحد فلم تلطم خداً ولم تشق جيباً ولكنها استقبلت النبأ بإيمان الصابرين وصبر المؤمنين وقالت : الحمد لله الذي شرفني بقتلهم وأرجو من ربى أن يجمعني بهم في مستقر رحمته .

وها هو أمير المؤمنين في الحديث **سفيان الثوري** ـ رحمه الله ـ قال ابن المبارك :ما أعلم على وجه الأرض أعلم من سفيان ، وقال بشر الحافي :كان الثوري عندنا إمام الناس،وقال أيضاً : سفيان في زمانه كأبي بكر وعمر في زمانهما ، روى الإمام أحمد بن حنبل ـ رحمه الله ـ بسنده عن وكيع قال : قالت أم سفيان لسفيان : يا بنى اطلب العلم وأنا أكفيك بمغزلي، فكانت ـ رحمها الله ـ تعمل وتقدم له ليتفرغ للعلم ، وكانت تتخوله بالموعظة والنصيحة ، قالت له ذات مرة ـ فيما يرويه الإمام أحمد أيضاً: يا بنى إذا كتبت عشرة أحرف فانظر هل ترى في نفسك زيادة في خشيتك وحلمك ووقارك ، فإن لم تر ذلك فاعلم أنها تضرك ولا تنفعك(١) .

والزوجة المسلمة تستطيع أن تعين زوجها المسلم في مجال الدعوة العظيم إلى الله ـ تبارك وتعالى ـ وتدخل عليه السرور . . . وذلك بأن تهتم بمجالي الدعوة النسائية ودعوة الأطفال فتتزود بما تحتاجه المرأة من أحكام وآداب . . . وما يلزم الطفل من فقه التربية . . . وتتحلى بفقه الدعوة أثناء سيرها وما أحوجنا إلى توجيهات خاصة للأخت المسلمة الداعية تعينها على سد الثغرات في هذا المجال المفتوح ، وفى سيرة أمهات المؤمنين وبقية الصاحبيات زاد لمن ينظر ويتأمل .

---

(١) صفة الصفوة.

ومما تعين به الزوجة زوجها أن تبذل له الشورى الخالصة والنصيحة الصادقة وتشاركه التفكير والنظر في الأمور، كما فعلت **أم سلمة** ـ رضي الله عنها ـ مع رسول الله ـ ﷺ ـ أثناء صلح الحديبية، ونفع الله برأيها نفعاً عظيماً ؛ وتمده بما يحتاجه من معرفة الأمور الخاصة بالنساء ... فهذه أم المؤمنين **حفصة** ـ رضي الله عنها ـ تمد أباها أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ بما يريد معرفته من مدة صبر النساء على فراق الأزواج.

ومن التعاون المشكور على الدعوة أن تثبّت الزوجة زوجها وتخفف عنه الآلام وتعينه على تذليل العقبات وتجاوز الصعوبات وتبشره بنصر الله وتأييده ، ورحم الله أم المؤمنين خديجة ـ رضي الله عنها ـ حائزة السبق في هذا الميدان ، فقد هيأها الله ـ تبارك وتعالى ـ لرسوله ـ ﷺ ـ في هذه الفترة العصيبة لتخفف عنه وتساعده وتثبته وتبشره، فقد كانت تقول له ـ ﷺ : « **وَاللَّه مَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَداً ، إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ ، وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ ، وَتَقْرِى الضَّيْفَ ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ** »(١) ، وكانت تسعى لإدخال الطمأنينة والسكينة على نفسه ـ ﷺ ـ فذهبت به إلى ابن عمها ورقة بن نوفل ...

ولم يقف تعاون الزوجة الصالحة عند الكلمة الطيبة والبشارة السارة ...وإن كان لذلك أثر عظيم ـ ولا شك ـ لكنها تجاوزت ذلك إلى بذل كل ما تملكه من نفس ومال وجاه ... وجعلته تحت تصرف زوجها ـ ﷺ ـ لذلك كان كثير الثناء عليها ، عظيم التقدير لها في حياتها وبعد موتها، فقال عنها ـ ﷺ ـ : « **آمنت بي حين كفر بي الناس ، وصدقتني حين كذّبني الناس ، وأشركتني في مالها حين حرمني الناس ، ورزقني الله ولدها وحرم ولد غيرها** »(٢) .

ومما تعين به الزوجة زوجها وتدخل به السرور على نفسه أن تؤثر خدمة الدعوة على حقوقها وتتنازل عن نصيب منها في سبيل النهوض بأعباء الدعوة إذا كثرت ... فإن للدعوة حقوقاً على الزوج ، وللزوجة أيضاً حقوق لا يجوز للزوج أن

(١) البخاري . (٢) أحمد.

يهضمها ، اللهم إلا أن تتنازل الزوجة الكريمة برضاها وتضحي بشيء منها ، وتحتسب عند الله أجرها ، وتكون شريكة لزوجها في الأجر بفضل الله .

ومن مجالات التعاون الهامة التي حثَّ الإسلام عليها الزوجة المسلمة مجال الجهاد في سبيل الله معاونة ومشاركة ... وهذا المجال يحتاج إلى نفس عالية تتغذى وتتربى في مدرسة الإسلام ، ولقد كانت الصحابيات الفضليات على هذا المستوى الرفيع فكنَّ يساعدنَّ ويشجعنَّ أزواجهنَّ وأبناءهنَّ على الجهاد في سبيل الله وطلب الاستشهاد لنيل ما عند الله ، فقد كانت المرأة الصادقة تشجع زوجها على الخروج للميدان وتلبية النداء وهيعة الجهاد « حي على الجهاد » ، وتودعه سائلة الله ـ تبارك وتعالى ـ أن يظفر بإحدى الحسنيين النصر أو الشهادة ، حتى ولو كان ذلك ليلة الزفاف أولى ليالي العرس ... وما موقف حنظلة بن أبى عامر ـ رضي الله عنه ـ غسيل الملائكة ببعيد ، وإذا كنا نذكر حنظلة فلا يمكن أن ننسى زوجته المؤمنة الصابرة المجاهدة ـ رضي الله عنها ـ .

وكانت المرأة ترفع معنويات زوجها وتزيل ما عسى أن يقلقه عليها وعلى أولادها قائلة ﴿ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ [البقرة :٢٥٧]،والله وليىٌ ووليٌ أبنائنا وليس لنا من أمر أنفسنا شيء ، وهو ـ سبحانه وتعالى ـ يرعانا في غيبتك أعظم من الرعاية في حضورك وشهادتك ، فتوكل على الله ولا تشغل بالك بالرزق ...فقد عرفناك أكالاً ولم نعرفك رزاقاً فإذا ذهب الأكال بقى الرزاق فـ ﴿ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ ﴾ [الذاريات :٥٨]، ﴿ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الذاريات : ٢٢-٢٣] بمثل هذه الكلمات الخالدات تعين الزوجة المسلمة زوجها المجاهد وتدخل على نفسه السرور، فيندفع إلى الميدان منشرح الصدر، قرير العين، باسم الثغر...

ولم تكتف المرأة المسلمة بمعاونة زوجها على الجهاد بالكلمة المطمئنة والبشرى المسكنة ، إنما جاوزت ذلك إلى المشاركة العملية طلباً للأجر من الله وزيادة في

تشجيع الزوج وتثبيته ... **فعائشة وفاطمة وأم سُليم** ..... وغيرهن ـ رضي الله عنهن ـ يخرجن مع رسول الله ، ﷺ ، في غزوة أحد وغيرها من الغزوات، وكنَّ يحملنَ السلاح ويطعنَ الكفار إذا احتاج الأمر إلى ذلك ، فعن أنس ـ رضي الله عنه ـ قال : « اتخذت أم سليم خنجراً أيام حنين، فرآها النبي ـ ﷺ ـ والخنجر معها،فقال لها : **ما هذا يا أم سليم** ؟ ، فقالت اتخذته حتى إذا دنا منى أحد من المشركين بقرت بطنه ، **فجعل النبى ـ ﷺ ـ يضحك** ... »[1] .

وهذه أم عمارة نسيبة بنت كعب ـ رضي الله عنها ـ المجاهدة العظيمة تدافع عن رسول الله ـ ﷺ ـ يوم أُحد بكل شجاعة وبسالة وتتحمل ما يصيبها بكل رضي وتسليم « فعن أم سعيد بنت سعد بن الربيع قالت : دخلت على أم عمارة ـ رضي الله عنها ـ فقلت حدثيني خبرك يوم أُحد،فقالت خرجت أول النهار إلى أحد وأنا أنظر ما يصنع الناس ومعي سقاء فيه ماء فانتهيت إلى رسول الله ـ ﷺ ـ وهو في أصحابه والدولة والريح للمسلمين،فلما انهزم المسلمون انحزت إلى الرسول ـ ﷺ ـ فجعلت أباشر القتال وأذبُّ عن رسول الله بالسيف وأرمى بالقوس حتى خلصت إليَّ الجراح ، قالت أم سعيد فرأيت على عاتقها جرحاً غور أجوف ، فقلت : يا أم عمارة من أصابك هذا ؟، قالت: أقبل إليَّ ابن قمئة وقد ولى الناس عن رسول الله ـ ﷺ ـ وهو يصيح دلوني على محمد فلا نجوت إن نجا ، فاعترض له مصعب بن عمير وناس معه ، فكنت فيهم ، فضربني هذه الضربة ، ولقد ضربته على ذلك ضربات ، ولكن عدو الله كان عليه درعان »[2] .

وكانت المرأة المسلمة تعين زوجها بالثبات والصبر على تحمل تكاليف الجهاد الشاقة من المحن والتعذيب وغير ذلك ، فها هي ذي **سمية** ـ رضي الله عنها ـ تثبت زوجها وتعينه على مواصلة الجهاد من أجل كلمة التوحيد الغالية النفيسة،فتصبر على تعذيب الجبابرة وتبشر زوجها ويبشرها ببشرى رسول الله ـ ﷺ ـ « **صبراً آل**

---

(١) صحيح سنن أبى داود .

(٢) سيرة بن هشام.

ياسر إن موعدكم الجنة » (١) ، فتصبر وتصبر حتى تلقى الله ـ تعالى ـ شهيدة في سبيله هي وزوجها ـ رضي الله عنهما ـ ، وتكون أولى النساء اللاتي سجلنَ في سجل الشهيدات الخالدات .

فاجتهدي أيتها الزوجة المسلمة في معاونة زوجك على الجهاد في سبيل الله، ولا تكوني ممن قيل فيهم: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلادِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ** ﴾ [التغابن :١٤] ، واحرصي على الإقتداء بالجيل الأول من الصحابيات الجليلات ، ومما يعينك على معاونة زوجك وإدخال السرور عليه في هذا المجال أن تطالعي وتستحضري وتعيشي بصدق وإخلاص مع ما أعده الله من فضل الجهاد والاستشهاد في سبيل الله عسى أن تكوني زوجة شهيد في الجنة فتفوزي بنعيم الدنيا والآخرة (٢) .

أختاه هل علَّمت ولدك القرآن والسُّنَّة وأرضعتيه محبة الله ورسوله ـ ﷺ ـ، وجعلتيه وقفاً لخدمة دين الله ـ عز وجل ـ يطوف في البلدان ليعلِّم الناس شرع الله وسُنَّة رسوله ـ ﷺ ـ وليملأ الكون كله زهداً وعلماً وفقهاً فيكون في ميزان حسناتك يوم القيامة فلقد قال رسول الله ـ ﷺ ـ : « **إِذَا مَاتَ الإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلاَّ مِنْ ثَلاَثَةٍ : إِلاَّ مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ** » (٣)، فافعلي مثلما فعلت امرأة عمران ... لَّما رزقها الله الحمل في بطنها وعلمت أن تلك النعمة لابد وأن تستعملها في نصرة دين الله ،فقالت : ﴿ **رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ** (٣٥) ﴾ [آل عمران :٣٥] ، فلمَّا علم الله صدق نيتها وصفاء قلبها أخرج من نسلها مريم ، ومن مريم أخرج منها عيسى ـ على نبينا وعليهما الصلاة والسلام ـ فلو نذرت كل مسلمة ما في بطنها لله ـ عز وجلَّ ـ فإن الله إذا تقبل من امرأة صادقة فلعله يخرج من نسلها رجلاً يوحِّد به صفوف هذه الأمة المسلمة المهزومة ، وليعيد لها

---

(١) حسن صحيح. (٢) كيف تسعدين زوجك . (٣) مسلم.

مجدها المسلوب ـ بإذن الله ـ وما ذلك على الله ببعيد .

أختاه : ابحثي لنفسك عن أي دور لخدمة دين الله وعلّمي أولادك أن الدين هو أغلى ما يملكه العبد في هذا الكون ؛ عسى الله أن يستعملك أنت وأولادك لنصرة هذا الدين[(١)] .

المـــرأة والنشـــاط السياســـي :

قد ثبّتتْ أم المؤمنين خديجة ـ رضي الله عنها ـ قلب نبينا ـ ﷺ ـ في بداية البعثة حين أتاه جبريل ـ عليه السلام ـ ففي البخاري « ... **فقَالَ لخديجَةَ وأَخْبرهَا الخَبرَ : لَقَدْ خَشيتُ عَلَى نَفْسي ، فقَالَتْ خديجَةُ : كَلاً وَاللَّه، مَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبداً ، إِنَّكَ لَتَصلُ الرَّحِمَ ، وَتَحْملُ الْكَلَّ ، وَتَكْسبُ المْعْدُومَ ، وَتَقْرِى الضَّيْفَ ، وَتُعِينُ عَلَى نوَائب الحَقّ** . فَانْطَلَقَتْ به خَديجَةُ حَتَّى أَتَتْ به وَرَقَةَ بْنَ نَوْفَلِ بْنِ أَسَد بْنِ عَبْد الْعُزَّى ابْنَ عَمّ خَديجَةَ ـ وكَانَ امْرأً تَنَصَّرَ فى الجَاهليَّة ، وكَانَ يَكْتُبُ الْكتَابَ الْعبْرَانيَّ ، فَيَكْتُبُ منَ الإِنْجيلِ بالْعبْرَانيَّة مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَكْتُبَ ، وكَانَ شَيْخاً كَبِيراً قَدْ عَمىَ ـ فَقَالَتْ لَهُ خَديجَةُ : يَا ابْنَ عَمّ : اسْمَعْ منَ ابْنِ أَخيكَ ، فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ يَا ابْنَ أَخي ، مَاذَا تَرَى؟: فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللَّه ـ ﷺ ـ خَبَرَ مَا رَأَى ، فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ: هَذَا النَّامُوسُ الَّذى نَزَّلَ اللَّهُ عَلَى مُوسَى ـ على نبينا وعليه الصلاة والسلام ـ يَا لَيْتَنى فيهَا جَذَعاً ، لَيْتَنى أَكُونُ حَيًّا إِذْ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ : **أَوَمخْرِجِىَّ هُمْ ؟** ، قالَ : نَعَمْ ، لَمْ يَأْت رَجُلٌ قَطُّ بمثْلِ مَا جئْتَ به إِلاَّ عُودىَ ، وَإِنْ يُدْرِكْنى يَوْمُكَ أَنْصُرْكَ نَصْراً مُؤَزَّراً ، ثُمَّ لَمْ يَنْشَبْ وَرَقَةُ أَنْ تُوُفّىَ وَفَتَرَ الْوَحْىُ » وواسته ـ رضي الله عنها ـ بكل ما تملك ، فلقد قال رسول الله ـ ﷺ ـ : « **آمنت بي حين كفر بي الناس ، وصدّقتني حين كذّبني الناس ، وأشركتني في مالها حين حرمني الناس ، ورزقني الله ولدها وحرم ولد غيرها** »[(٢)] .

وقد سبقت أم المؤمنين أم حبيبة بنت أبى سفيان ـ رضي الله عنها ـ أبيها إلى الإسلام ،

---

(١) أختاه ماذا قدمت لدين الله .

(٢) أحمد .

وسبقت **فاطمة بنت الخطاب** أخوها عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنهما ـ إلى الإسلام ، وسبقت **أم الفضل** زوجها العباس بن عبد المطلب ـ رضي الله عنهما ـ إلى الإسلام ، بل وسبقت المرأة أهلها جميعاً إلى الإسلام ، ففي البخاري « . . . وَجَاءَ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ وَكَانَتْ أُمُّ كُلْثُومٍ بِنْتُ عُقْبَةَ ابْنِ أَبِي مُعَيْطٍ مِمَّنْ خَرَجَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ـ ﷺ ـ يَوْمَئِذٍ وَهْيَ عَاتِقٌ ، فَجَاءَ أَهْلُهَا يَسْأَلُونَ النَّبِيَّ ـ ﷺ ـ أَنْ يَرْجِعَهَا إِلَيْهِمْ ، فَلَمْ يَرْجِعْهَا إِلَيْهِمْ لِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِنَّ ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ** ﴾ » [الممتحنة : ١٠] .

وقد فرَّت الكثير من النساء المؤمنات من أرض الكفر يومئذ بدينهن ، وهجرة المؤمنات مع أزواجهن وأهليهن إلى الحبشة وإلى المدينة معروفة مشهورة ، ولقد قال عنهن الإمام الزهري ـ رحمه الله ـ : «**وَمَا نَعْلَمُ أَحَداً مِنَ الْمُهَاجِرَاتِ ارْتَدَّتْ بَعْدَ إِيْمَانِهَا**»(١) .

وقد شاركت النساء في الجهاد دفاعاً عن الإسلام،فعَنِ الرُّبَيِّعِ بِنْتِ مُعَوِّذٍ قَالَتْ: «**كُنَّا نَغْزُو مَعَ النَّبِيِّ ـ ﷺ ـ فَنَسْقِي الْقَوْمَ وَنَخْدُمُهُمْ وَنَرُدُّ الْجَرْحَى وَالْقَتْلَى إِلَى الْمَدِينَةِ** »(٢) .

وقد بايعت النساء رسول الله ـ ﷺ ـ قبل الهجرة وبعدها،قال الله تبارك وتعالى ـ: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰ أَن لاَّ يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلا يَسْرِقْنَ وَلا يَزْنِينَ وَلا يَقْتُلْنَ أَوْلادَهُنَّ وَلا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (١٢)** ﴾ [الممتحنة : ١٢] .

وعليه فيجوز للمرأة هذه الأيام أن تَنْتخب لا أن تُنْتَخَبَ ، فيجوز لها أن تَنْتخب خليفة المسلمين ، أو مجلس النواب ، لأن الانتخاب شهادة ووكالة وإفتاء وهذه أمور يجوز لها أن تمارسها (٣) .

---

(١) ، (٢) البخاري .

(٣) حكم ولاية المرأة ـ بتصرف .

المرأة والعمل خارج بيتها :

جعل الله ـ تبارك وتعالى ـ السعي في الأرض والكدَّ والشقاء خارج البيت لطلب الرزق على الرجل فقال ـ تبارك وتعالى ـ :﴿ **فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰ** (١١٧) ﴾[طه:١١٧]،فثنَّى الله في الإخراج من الجنة وأفرد آدم وحده في الشقاء ، **فالبيت** هو المكان الطبيعي للمرأة ترعى فيه زوجها وتربى فيه أولادها ، والمرأة مسئولة عن رعايتها لزوجها وبيتها وأطفالها أكمل رعاية ، فهي المسئولية الأساسية للمرأة المتزوجة ، ويفهم من إضافة البيوت إليهن في قوله ـ عز وجلَّ ـ :﴿ **لا تُخْرِجُوهُنَّ مِن بُيُوتِهِنَّ وَلا يَخْرُجْنَ إِلاَّ أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ** ﴾ [الطلاق : ١] اختصاصها بهن من حيث السُكنى (١) .

وتخرج فقط لطلب الرزق في حالتين :

أولهما : عند فقد من يعولها أو عجزه مع وجوده ؛ **الوالد أو الأخ أو الزوج أو الدولة المسلمة** ، وحاجتها لإعالة نفسها وأسرتها ، قال الله ـ تبارك وتعالى ـ : ﴿ **وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ** (٢٣) ﴾ [القصص : ٢٣] ، وقال جَابِرَ بْنَ عَبْد اللَّه ـ رضي الله عنهما ـ طُلِّقَتْ خَالَتِى فَأَرَادَتْ أَنْ تَجُدَّ نَخْلَهَا، فَزَجَرَهَا رَجُلٌ أَنْ تَخْرُجَ ، فَأَتَت النَّبِىَّ ـ ﷺ ـ فَقَالَ لها : **بَلَى فَجُدِّى نَخْلَكِ ، فَإِنَّكِ عَسَى أَنْ تَصَدَّقِى أَوْ تَفْعَلِى مَعْرُوفاً** » (٢) .

وثانيهما : في حالة احتياج المجتمع لها في فروض الكفاية في شئون النساء لحفظ كيان المجتمع المسلم كتطبيبهن وتمريضهن وتعليمهن وتربيتهن ؛ وليس في كل المجالات كما هو الحال الآن ! وفى هذه الحالة عليها التوفيق بين آداء هذا العمل وبين مسؤليتها عن بيتها وأولادها ، ولا يجوز أن يعطِّل هذا العمل المهني تحقيق مسئوليتها الأساسية،كما أنه لابد أن لا يستغرق ذلك العمل جهدها كله؛

---

(١) تفسير النسفي. (٢) مسلم.

فطبيعة المرأة وتكوينها النفسي والعضلي يختلف عن الرجل ، قال الله ـ تعالى ـ ﴿ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَىٰ ﴾ [مريم :٣٦] ، فالأنثى تختلف عن الذكر في كل شئ ... في الأعضاء التناسلية ، وفى صغر حجم العظام وضعف قوتها وكثافتها ووزنها، في اتساع الحوض وصغر المسافة بين المنكبين، في نوع وكمية الهرمونات، في ضعف العضلات ، في قلة عدد تلافيف المخ وفي حجمه ووزنه ، في قلة عدد خلايا الدم ، في ملمس الجلد الناعم وتوزيع الشعر والدهون في كل الجسم ، في قدرتها على الرؤية في الضوء الخافت ، وسماع الأصوات بدقة أعلى لرعاية الصغير ، في قوة العاطفة وسرعة الإنفعال ..... مما يؤهلها لحمل وولادة وإرضاع وحضانة ورعاية وتربية الأطفال ... فوظيفة ومهمة كل واحد منهما في الحياة تختلف عن الآخر ، فالموضوع موضوع توزيع أدوار ... فلكل دوره في الحياة ، قال الله ـ تبارك وتعالى ـ :﴿ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ﴿٤﴾ ﴾ [الليل : ٤] ، وكلٌ منهما يكّمل الآخر كما قال ربنا ـ جلَّ وعلا ـ:﴿ بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ ﴾ [آل عمران:١٩٥]، لذلك فالخطأ الجسيم في التربية من الصغر وفى توحيد المناهج الدراسية مما يؤدى إلى عدم تأهيل البنت تعليميًا وتربويًا لتؤدى وظيفتها الأساسية في الحياة من رعاية الزوج وحمل وولادة وإرضاع وتربية الأبناء وإدارة للبيت ، وتأهيل الإبن للعمل وتحمل المسئولية والقيام على الأسرة ماديًا وتربويًا [١] .

(١) **يقول صاحب كتاب «الإنسان ذلك المجهول»** : إن ما بين الرجل والمرأة من فروق ليست ناشئة عن اختلاف الأعضاء الجنسية وعن وجود الرحم والحمل أو عن اختلاف طريقة التربية وإنما تنشأ عن سبب جد عميق وهو تأثير العضوية بكاملها بالمواد الكيماوية ومفرزات الغدد التناسلية ،وإن جهل هذه الوقائع الأساسية هو الذي جعل رواد الحركة النسائية يأخذون بالرأي القائل بأن كلا الجنسين الذكور والإناث يمكن أن يتلقوا ثقافة واحدة وأن يمارسوا أعمالا مماثلة ، والحقيقة أن المرأة مختلفة اختلافاً عميقاً عن الرجل ،فكل خجيرة في جسمها تحمل طابع جنسها وكذلك الحال بالنسبة إلى أجهزتها العضوية ولا سيما الجهاز العصبي ـ وان القوانين العضوية-الفسيولوجية- كقوانين العلم الفلكي لا سبيل إلى خرقها ، ومن المستحيل أن نستبدل بها الرغبات الإنسانية ونحن مضطرون لقبولها كما هي،فالنساء يجب أن ينمين استعداداتهن في اتجاه طبيعتهن الخاصة دون أن يحاولن تقليد الذكور، فدورهن في تقدم المدنية أعلى من دور الرجال، فلا ينبغي لهن أن يتخلين عنه ،ويغفل الناس عادة شأن وظيفة الولادة بالنسبة إلى المرأة ، مع أن هذه الوظيفة ضرورة لكمال نموها ، ولذلك كان من الحمق والسخف صرف المرأة عن الأمومة ، فلا ينبغي أن يتلقى الفتيات والفتيان ثقافة واحدة، وعلى المربين أن يعتبروا الفروق الجسمية والعقلية بين الذكر والأنثى وما بين دوريهما الطبيعيين، فبين الجنسين فروق لا يمكن أن تزول ، ومن الواجب اعتبارها في بناء العالم المتمدن .

وحين تقتضى الحاجة خروج المرأة للعمل ينبغي عليها وعلى الرجل التأدب بآداب الإسلام عند التقائهم جميعاً ، ومن هذه الآداب :

[١] **التمييز بين النساء والرجال واجتناب المزاحمة:** قال الله ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿ **وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ** ﴿٢٣﴾ ﴾ [القصص : ٢٣] و« **كَانَ رَسُولُ اللَّه ـ ﷺ ـ إِذَا سَلَّمَ ـ أي من الصلاة ـ قَامَ النِّسَاءُ حِينَ يَقْضِي تَسْلِيمَهُ ، وَمَكَثَ يَسِيراً قَبْلَ أَنْ يَقُومَ ، قَالَ ابْنُ شِهَابٍ فَأُرَى ـ وَاللَّهُ أَعْلَمُ ـ أَنَّ مُكْثَهُ لِكَيْ يَنْفُذَ النِّسَاءُ قَبْلَ أَنْ يُدْرِكَهُنَّ مَنِ انْصَرَفَ مِنَ الْقَوْمِ** »[١] ويؤكد هذا المعنى طلب النبي ـ ﷺ ـ تخصيص باب للنساء في مسجده بقوله : « **لو تركنا هذا الباب للنساء** »[٢] ، قال نافع : فلم يدخل منه عبد الله بن عمر رضي الله عنهما حتى مات .

[٢] **الجديَّة في اللقاء ، فلا يتضمن منكراً** ؛ قال الله ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿ **فَلا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلاً مَّعْرُوفًا** ﴾ [الأحزاب : ٣٢] .

[٣] **غضّ البصر** ؛ قال الله ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿ **قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ** ﴾ [النور : ٣٠-٣١] .

[٤] **اجتناب الخلوة** ؛ قال رسول الله ـ ﷺ ـ : « **لاَ يَخْلُوَنَّ رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ إِلاَّ وَمَعَهَا ذُو مَحْرَمٍ** »[٣] .

[٥] **اجتناب المصافحة** ؛ قال رسول الله ـ ﷺ ـ: « **إني لا أصافح النساء** »[٤] ، وقال أيضاً : « **لأن يطعن في رأس أحدكم بمخيط من حديد خير له من أن يمس امرأة لا تحل له** »[٥] ، وقالت أم المؤمنين عائشة ـ رضي الله عنها ـ : « **وَمَا مَسَّتْ كَفُّ**

---

(١) صحيح الجامع .
(٢) البخاري .
(٣) صحيح سُنن ابى داوود .
(٤) متفق عليه .
(٥) صحيح الجامع .

رَسُولِ اللَّه ـ ﷺ ـ كَفَّ امْرَأَةٍ قَطُّ » (١) .

[٦] **اجتناب الاجتماع في مكان واحد لمدة طويلة طوال فترة العمل** : رغم انفراد كل منهما بعمل ، لأنه يصعب في مثل هذا الاجتماع غضّ البصر واستمرار الجدية في التخاطب والوقار في الحركة ، ويضعف الاحتشام والرصانة الواجب توافرها عند لقاء النساء بالرجال .

[٧] **اجتناب مواضع الريبة** : قال رسول الله ـ ﷺ : « **دع ما يريبك إلى ما لا يريبك** » (٢) .

[٨] **اجتناب ظاهر الإثم وباطنه** : قال الله ـ تبارك وتعالى ـ : ﴿ وَذَرُوا ظَاهِرَ الإِثْمِ وَبَاطِنَهُ ﴾ [الأنعام : ١٢٠] ، وقال ـ جلَّ في علاه ـ : ﴿ وَلا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ﴾ [الأنعام : ١٥١] .

وهناك آداب خاصة بالنساء مثل :

[١] خروجها بزيها الإسلامي المحتشم ، ولباسها الشرعي ، وليس لباس الكافرات كما نرى كثيراً اليوم !واعتصامها بدينها ، قال الله ـ تبارك وتعالى ـ : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلابِيبِهِنَّ ﴾ [الأحزاب : ٥٩] ، وقال ـ جلَّ في علاه ـ : ﴿ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ [النور : ٣١] وقال ـ جلَّ شأنه ـ : ﴿ وَلا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأُولَىٰ ﴾ [الأحزاب : ٣٣] .

---

(١) متفق عليه

(٢) صحيح الجامع .

وقال رسول الله ـ ﷺ ـ: « **صنفان من أهل النار لم أرهما بعد ...ونساء كاسيات عاريات مميلات مائلات رءوسهن كأسنمة البخت المائلة ، لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها ، وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا** »(١) ، وبشرط عدم تقصيرها في أمور بيتها وأولادها ،فهذا هو الأصل، قال رسول الله ـ ﷺ ـ :« ... **وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا وَمَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا...** »(٢) .

[٢] تخرج بكامل حيائها،قال الله ـ تبارك وتعالى ـ : ﴿ **فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا** ﴾ [القصص: ٢٦] ، مع عدم مزاحمتها واختلاطها بالرجال ، قال الله ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿ **وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾** ﴾ [القصص: ٢٣] .

[٣] الجدية في التخاطب ، قال الله ـ تبارك وتعالى ـ : ﴿ **إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٣٢﴾** ﴾ [الأحزاب: ٣٢].

[٤] الوقار في الحركة ، قال الله ـ تبارك وتعالى ـ :﴿ **وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ** ﴾ [النور :٣١] .

[٥] اجتناب الطّيب ، قال رسول الله ـ ﷺ ـ : « **إذا استعطرت المرأة فمرت على القوم ليجدوا ريحها ، فهي زانية** »(٣) .

[٦] ألا يكون عملها تسلطاً على الرجال ؛ يراجع هنا ما كتب في فقرة المرأة وتولى المناصب القيادية .

والغرض من هذه الشروط جميعاً هو حمايتها وحماية المجتمع من الافتتان بها، قال رسول الله ـ ﷺ ـ : « **إن المرأة عورة ، إذا خرجت استشرفها الشيطان ، وأقرب ما تكون من وجه ربها وهي في قعر بيتها** »(٤) ، واستشرفها أي

---

(١) صحيح الجامع .
(٢) البخاري.
(٣) صحيح الجامع
(٤) صحيح ابن خزيمة

انتصب ورفع بصره إليها وهمَّ بها ليتسلط عليها ويطمع الناس فيها ؛ وقال عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ : « . . . وإن المرأة لتخرج من بيتها وما بها بأس ، فيستشرفها الشيطان فيقول إنك لا تمرين بأحد إلا أعجبتيه ، وإن المرأة لتلبس ثيابها فيقال : أين قول أعود مريضاً أو أشهد جنازة أو أصلى في مسجد ، وما عبدت امرأة ربها مثل أن تعبده في بيتها »(١) .

وفى كل الحالات ، **وبشرط عدم تقصيرها في أمور بيتها وأولادها** فهذا هو الأصل ، ينبغي لعمل المرأة خارج بيتها إذن الولي ـ **الزوج أو الأب أو الأخ** . . . إن لم تكن المرأة متزوجة ـ لقوامة الرجال على النساء ولمسؤليتهم عليهن ، كما ذكرنا في الآيات والأحاديث السابقة ، أما والأمر كما نرى الآن فإنا لله وإنا إليه راجعون ، وحسبنا الله ونعم الوكيل .

المـــرأة وتولي المناصب القياديـــة :

لا ينبغي تولية أي امرأة على الرجال في أي مجال ـ وإن كان لا يمنع من ولايتها على نساء مثلها ـ وهذا لا يُضير النساء في شيء ، فكما لا يُضير معظم الرجال أنهم لا يصلحون للولاية ، لا يُضير ذلك النساء ، وليس ذلك احتقار لهنَّ أو انتقاص من شأنهنَّ ، وإنما يلحق الضرر بأولئك الذين يتجاهلون عند الاختيار منطق الشرع، قال الله ـ تبارك وتعالى ـ : ﴿ **أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ** ﴾ [الملك: ١٤] ، و« عَنْ أَبِي بَكْرَةَ قَالَ: لَقَدْ نَفَعَنِي اللَّهُ بِكَلِمَةٍ سَمِعْتُهَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ـ ﷺ ـ أَيَّامَ الْجَمَلِ بَعْدَ مَا كِدْتُ أَنْ أَلْحَقَ بِأَصْحَابِ الْجَمَلِ فَأُقَاتِلَ مَعَهُمْ، قَالَ : لَمَّا بَلَغَ رَسُولَ اللَّهِ ـ ﷺ ـ أَنَّ أَهْلَ فَارِسَ قَدْ مَلَّكُوا عَلَيْهِمْ بِنْتَ كِسْرَى قَالَ : **لَنْ يُفْلِحَ قَوْمٌ وَلَّوْا أَمْرَهُمُ امْرَأَةً** »(٢) ،وامرأة هنا نكرة ذكرت في سياق النفي مما يفيد العموم ، أي لن يفلح أيُّ رجال ، في أي زمان أو مكان ، ولّوا أمرهم امرأة ، أيُّ امرأة في أي زمان أو مكان ، فالقوم تطلق في اللغة على الرجال دون النساء ،

---

(١) الطبراني في الكبير ، وإسناده حسن .

(٢) البخاري.

قال الله تعالى : ﴿ لا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ﴾ [الحجرات :١١] .

وهذا الحديث وإن كان لوروده سبب خاص ، إلا أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب،كما هو معلوم من القاعدة الأصولية ـ وكذلك لفظ « **أَمْرَهُمْ** » فهو مفرد مضاف أو اسم جنس مضاف ، وهو كذلك يفيد العموم عند الأصوليين ـ فهو إذاً يشمل أيَّ أمر ذي بال، وهكذا فهم صحابة رسول الله ـ ﷺ ـ خير القرون ، كما في نص الحديث « عَنْ أَبِي بَكْرَةَ قَالَ : لَقَدْ نَفَعَنِي اللَّهُ بِكَلِمَةٍ أَيَّامَ الْجَمَلِ . . . » وهكذا ينبغي أن نفعل وإلا ﴿ **فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ** ﴾ [النور:٦٣] ، وكيف لها أن تتولى على الرجال ولم يجعل الله قوامة البيت لها ، بل إنها ممنوعة حتى من ولاية تزويج نفسها ، قال رسول الله ـ ﷺ ـ : « **أيما امرأة لم يُنكحها الولي فنكاحها باطل . . .** » [(١)] ، وخروج أم المؤمنين ـ عائشة بنت أبي بكر ـ رضي الله عنهما ـ يوم صفين ردَّ عليه عمار بن ياسر ـ رضي الله عنه ـ قائلاً : « إِنَّ عَائِشَةَ قَدْ سَارَتْ إِلَى الْبَصْرَةِ ، وَوَاللَّهِ إِنَّهَا لَزَوْجَةُ نَبِيِّكُمْ ـ ﷺ ـ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ ،وَلَكِنَّ اللَّهَ ـ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ـ ابْتَلاَكُمْ ، لِيَعْلَمَ إِيَّاهُ تُطِيعُونَ أَمْ هِيَ » [(٢)] ؛ ولقد ندمت ـ رضي الله عنها ـ على ذلك،والندم توبة ، ولا يجوز لأحد أن يتعلق باجتهادها ذلك وقد نبذته هي وتخلت عنه .

وقد بيَّنت السُّنَّة العملية أيضاً من فعل رسول الله ـ ﷺ ـ ثم فعل الخلفاء الراشدين المهديين والصحابة من بعده ، ثم إجماع المسلمين قروناً عديدة ، منع المرأة من أي ولاية على الرجال صغرت هذه الولاية أم كبرت ، هذا هو الواقع الذي فهمه خير القرون ، فلم يجيزوا ولاية النساء على الرجال حتى في مثل إمامة الصلاة أو خطبة الجمعة رغم سهولة التبعات وقلة المسئوليات في ذلك [(٣)] .

---

(١) أحمد بسند صحيح .

(٢) البخاري

(٣) حكم ولاية المرأة ، بتصرف .

وأما ما قيل من أن عمر ولّى الشفاء بنت عبد الله أمر السوق ، واغتر بذلك ابن حزم ـ رحمه الله ـ فشذ عن الإجماع وأجاز تولية المرأة ، فإن ذلك لم يثبت في رواية مسندة صحيحة ، وذكر ابن العربي في أحكامه ـ في الجزء الثالث ـ أن ذلك من دسائس المبتدعة ، ويرده قول عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ الثابت في صحيح البخاري إذ يقول : " كُنَّا فِى الْجَاهِلِيَّةِ لاَ نَعُدُّ النِّسَاءَ شَيْئاً ، فَلَمَّا جَاءَ الإِسْلاَمُ وَذَكَرَهُنَّ اللَّهُ ، رَأَيْنَا لَهُنَّ بِذَلِكَ عَلَيْنَا حَقًّا ، مِنْ غَيْرِ أَنْ نُدْخِلَهُنَّ فِى شَىْءٍ مِنْ أُمُورِنَا " (١) ، (٢) .

المـــرأة والميـــراث :

الإسلام هو أول نظام في التاريخ أعطى المرأة نصيبها في الميراث بأروع ما يكون، وقد جعل الإسلام في أغلب الحالات للذكر ضعف نصيب الأنثى في الميراث ، قال الله ـ تبارك وتعالى ـ :﴿ يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنثَيَيْنِ ﴾ [النساء : ١١] ، والنظرة المتعجلة للأمور ربما تعتبر ذلك انتقاصاً من شأن المرأة وهضماً لحقها كإنسان له حقوق متساوية مع الرجل ؛ والواقع أن الإسلام أبعد ما يكون عن أن يجعل من ذلك مبرراً للنظر إلى المرأة نظرة متدنية ، فسبب هذه التفرقة في الميراث لا صلة له إطلاقاً بمكانة كل من الرجل والمرأة ، ولكنه يرجع إلى الالتزامات التي تقع على كاهل كل منهما ... فانطلاقاً من اختلاف الوظيفة بين الرجل والمرأة ـ كما بيَّنا سابقاً ـ كان اختلاف النصيب في الميراث .

فالإسلام يُلزم الرجل بالعمل والإنفاق على زوجته وأفراد أسرته ، وفى الوقت نفسه المرأة تجلس في بيتها لتقوم بواجبها تجاه زوجها وأولادها وبيتها ولا تكلف بالإنفاق حتى على نفسها لأن زوجها يُجبر على الإنفاق عليها ولو كانت غنية ميسورة ، فإذا قمنا بعملية حسابية بسيطة سيتضح لنا أن المرأة عندما تأخذ نصف ما يأخذه الرجل من الميراث ، فإنها تكون في وضع مالي أفضل من وضع

(١) البخاري. (٢) حكم ولاية المرأة ـ بتصرف .

الرجل ، وذلك لأن ما يأخذه الرجل يجب عليه شرعاً أن ينفق منه على زوجته وأسرته من البنين والبنات ، وكذلك على أمه وأبيه إذا لم يكن لهما مورد رزق ، وعلى أخواته إذا لم يكن لهن عائل .

وإن لم يكن متزوجاً يذهب ليقيم عملاً وقد يحتاج في عمله إلى رأس مال يذهب بكل ما ورث عن أبيه ؟ ثم هو يريد أن يتزوج ويخطب فتاة ويعطيها المهر المناسب ، إنه قد يدفع كل ما ورث ، ثم يريد أن ينفق على زوجته هذه ، وبعد ذلك إذا تغيرت الأحوال بأخته وافتقرت بعد غنى إذا ضيَّعت نصيبها من الميراث ولم تتزوج أو طلقها زوجها وأصبحت فقيرة لا شيء عندها ، من المسئول عن الإنفاق عليها ؟ **أخوها** الذي أخذ ضعف ما أخذت ، لأنه دائماً قادر على أن يعمل وينتج وينفق حتى على هذه الأخت ، فمن المظلوم إذا كان هناك ظلم ، ومعاذ الله أن يكون في شريعة الله ظلم ؟ .

أما المرأة فتأخذ حصتها فتحتفظ بها وتنتظر الزوج ، فإذا جاء الزوج أعطاها المهر فوق حصتها ، فإذا تزوجت بعد ذلك أنفق عليها ، فهي بإمكانها أن تأخذ حصتها من ميراث أبيها لتفعل فيه ما تشاء وربما تستثمره وربما يتضاعف . . .

ومعنىً بهذا أن ما يأخذه الرجل من ميراث قد يكون في تناقص مستمر بسبب هذه الالتزامات الكثيرة ، أما المرأة فإنها لا تُسأل إلا عن نفسها وهي حرة في ميراثها حيث تستطيع أن تنميه في استقلال تام عن الرجل وليس عليها أيَّة التزامات مالية تجاه أفراد الأسرة ، وزوجها ملزم بنفقتها حتى وإن كانت ذات ثراء وهذا يعني أن ميراثها سيكون في ازدياد مستمر ، ومن ذلك يتضح أنه ليس هناك ظلم للمرأة على الإطلاق أو انتقاص من شأنها، بل لعل الميزان هنا يميل إلى صالحها ؛ والأمر الذي يجب أن نشير إليه في هذا الصدد هو أن توريث المرأة على النصف من الرجل ليس موقفاً عاماً ولا قاعدة مطردة في توريث الإسلام لكل الذكور وكل الإناث ، فالقرءان لم يقل يوصيكم الله في المواريث والوارثين للذكر

مثل حظ الأنثيين ، وإنما قال : ﴿ يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنثَيَيْنِ ﴾ [النساء : ١١] ، وهناك فرق واضح بين التعبيرين ، فتأمله أيها اللبيب .

فهذا التمييز نتيجة طبيعية لاختلاف الوظيفة ولا علاقة له أبداً بكرامة المرأة أو بإنسانيتها ؛ وكيف والمشرع هو الله الذي كرم بنى آدم ذكوراً كانوا أم إناثاً .

هذا مع أن **استقراء** حالات ومسائل الميراث يكشف لنا عن حقيقة مغايرة تماماً لما استقر في الأذهان بشأن ميراث المرأة وما يرتبط بذلك خطأً من الانتقاص من أهليتها ، فحالات الميراث بناءً على هذا الاستقراء تبين أن هناك **أربع حالات** فقط ترث فيها المرأة نصف ميراث الرجل، في حين أن هناك أكثر من **ثلاثين حالة** ترث فيها المرأة مثل الرجل أو أكثر منه أو ترث هى ولا يرث نظيرها من الرجال في مقابل أربع حالات محددة ترث فيها المرأة نصف الرجل ؛ ومن بين الأمثلة العديدة على ذلك أنه في حالة ما إذا مات رجل أو امرأة وليس له أو لها والد أو ولد ـ ذكراً كان أو أنثى ـ وله أو لها أخ أو أخت من ناحية الأم ، ففي هذه الحالة يستوي الأخ والأخت في الميراث ، كما أن الزوج إذا ماتت زوجته ولها بنت منه أو من غيره ترث البنت ضعف نصيب الزوج وهكذا في حالات أخرى ... وهذه الأنصبة محددة في القرءان الكريم وتقضى على جميع أشكال المنازعات بين أفراد الأسرة ؛ودار الإفتاء المصرية تشهد بأن كثيراً من الأقباط في مصر يحتكمون إلى نظام المواريث الإسلامية، لما له من أثر كبير في حسم المنازعات والقضاء على أسباب الخلاف بين المستحقين للميراث .

المـــرأة والتعـــدد :

ونجد من المفيد ـ أخيراً ـ أن نتحدث عن تعدد الزوجات في الإسلام،ذلك لأن الاختلاف بين الرجل والمرأة في التركيب الجسمي وفى الوظيفة الفطرية هو المبرر الأهم لإباحة تعدد الزوجات ، فالرجل يستطيع أن يبذر في أكثر من رحم ولكن المرأة ليس لها إلا رحم واحد،فإذا تعدد أزواجها اختلطت أنساب أبنائها ، وكيف

يتحمل الرجل مسئولية ولد لا يدرى أنه ابنه ؟ وكيف ينفق عليه ؟ فإذا كان هناك مبرر شخصي أو اجتماعي للتعدد فإنه يمكن تنفيذه بتعدد الزوجات لا بتعدد الأزواج .

ونود أن نؤكد أن ديننا الإسلام لم يكن أول دين يبيح تعدد الزوجات ولم يبتكر هذا النظام ـ وأوضح مثال هو تعدد زوجات سيدنا إبراهيم ويعقوب وسليمان وموسى ـ على نبينا وعليهم الصلاة والسلام ـ بل كان أول دين ينظم شئون الزواج ويحدد تعدد الزوجات بقيود وشروط شديدة وقاسية ، وعندما جاء الإسلام كان تعدد الزوجات مباحاً بلا حدود ليس فقط لدى العرب بل لدى شتى الأمم بشكل أو بآخر ، والإسلام في تشريعاته الجديدة كان يتبع أسلوب التدرج في القضاء على العادات السيئة السائدة في المجتمع ، فمن الصعب القضاء على عادات وتقاليد متأصلة منذ عصور سحيقة دفعة واحدة ، ومن هنا كان هذا التدرج أيضاً في قضية تعدد الزوجات .

لقد حدد الإسلام عدد الزوجات الذي كان مطلقاً بلا حدود بأربع زوجات، كما جاء في القرءان الكريم ﴿ **فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً** ﴾ [النساء : ٣] ، وهذا التحديد بأربع محاط بسياج من ضرورة العدل بينهن ، فقد حذّر رسول الله ـ ﷺ ـ من عدم العدل ، فقال : « **من كانت له امرأتان يميل مع إحداها على الأخرى ، جاء يوم القيامة وأحد شقيه ساقط** »(١) .

وفى التعدد من المصالح العظيمة للمجتمع ما لا يمكن أن ينكره عاقل أو منصف ؛ فعلى سبيل المثال عندما يزداد عدد النساء على عدد الرجال في **الأحوال العادية** ـ كما هو الحال في شمال أوروبا ـ وكما هو الحال في بلادنا الإسلامية هذه الأيام ـ ما هو الحل ؟، إن التعدد هنا أمر واجب أخلاقياً واجتماعياً

(١) صحيح سنن ابن ماجة .

للقضاء على العنوسة ، ولإعالة وإعفاف وستر الأرامل والمطلقات من المسلمات ، والقيام عليهن ورعايتهن؛ ولا بديل عنه إلا أن تتسكع النساء الزائدات في الشوارع والجامعات والنوادي وغير ذلك ... لإغواء الرجال وانتزاعهم من زوجاتهن أو البقاء محرومات من الزوج والولد ! ولا يقول بهذا عاقل .

وزيادة عدد النساء على عدد الرجال **في أوقات الحروب** ـ حيث يموت الكثيرون من الرجال في ميادين القتال وتظل الكثيرات من النساء بلا عائل ولا زوج ـ كما حصل في أوروبة بعد الحربين العالميتين... ما هو الحل ؟ ، لا مجال هنا للمكابرة إذ لا حل غير السماح بتعدد الزوجات ، وهذا هو ما طالب به كثير من المفكرين الأوروبيين أنفسهم .

وإذا كانت الزوجة عقيماً لا تلد والزوج يحب الذرية ما هو الحل ؟ إما يطلقها ويتزوج غيرها وفى هذا إضاعة لها وتركها بلا زوج ، وإما أن يبقيها زوجة مكرَّمة ويتزوج ثانية لإنجاب الولد ؛ أيهما أفضل مروءة وأخلاقاً ؟ وأية زوجة عقيمة لا ترضى بذلك ؟ .

وفى بعض الحالات قد تصاب الزوجة بمرض يمنع زوجها من معاشرتها معاشرة الأزواج ما هو الحل ؟ هل يطلقها أم يتزوج عليها ؟ أيهما أكرم للزوجة المريضة ؟ وما الذي أجبر الثانية أن ترضى بالزواج مع وجود ضرة لها ! .

وإذا كان الرجل يتمتع بقوة جنسية وفحولة زائدة ولا يكتفي بزوجة واحدة إما لشيخوختها أو لكثرة أيام الحيض والحمل والنفاس والمرض بحيث تعجز امرأة واحدة عن احتواء واستيعاب قوة هذا الرجل وتطلعاته العاطفية والجنسية ـ وهى ميزة في الرجل وليست عيباً ما دامت في إطار الزوجية وليست خارجها ـ ما هو الحل ؟ ، لا شك أن الصبر أفضل ... ولكن من لا يستطيع الصبر هل يباح له الزنا ـ وهو من الكبائر المهلكات للأمم والشعوب ـ أم التعدد أيسر وأنفع ؟ .

والتعدد واقع في كل شعوب الأرض لكنه عند المسلمين تعدد مشروع تحتفظ

فيه الزوجة الثانية بكرامتها كزوجة وبكافة حقوقها خاصة حقها في إنجاب الولد وتأسيس العائلة وهو عند الغربيين ممنوع رسمياً قائم فعلاً وبأضعاف ما هو عند المسلمين ، فالرجل يتخذ له خليلات ـ يسموهن صديقات ! ـ يعاشرهن جنسياً لمجرد التمتع وقضاء الشهوة وليس لهن حقوق الزوجات ، والزوجة تتخذ لنفسها أصدقاء على نفس المنوال ! .

الفرق البالغ الأهمية والخطورة هو أن الإسلام لا يسمح بالمعاشرة الجنسية إلا إذا أحيطت بسياج من حقوق وضمن زواج شرعي يهدف إلى تأسيس عائلة وإنجاب والأولاد ورعايتهم بعد ذلك ، أما الغربيين فالمعاشرة عندهم مباحة ولو بدون قيود ولو بهدف الشهوة فقط ! ويحتار المرء كيف يتأكد الواحد منهم أن من أنجبته زوجته ولده هو وليس ولد غيره ، ويزداد تعجبه بل تحيره أن يعلم أن هذا الولد الذي معه في نفس البيت ليس ابنه ويرضى بذلك ! لا تفسير لذلك إلا تدنى الأخلاق لمستوى لم تعرف البشرية له نظير إلا في أحلك العصور وأشدها جاهلية وانحطاط أو قل قبل قيام الساعة التي لا تقوم إلا على شرار الناس ... لا كما يزعمون أهل مدنية وتقدم و ... وتحرر! [١] .

وأنا أنتهز هذه الفرصة وأدعوا أولياء أمور النساء في هذا الزمان خاصة والذي زاد فيه عدد النساء على عدد الرجال بكثير ـ كما تقول بذلك الإحصائيات الرسمية ـ بتيسير الزواج ، فكما أخبر رسول الله ـ ﷺ ـ أن « **خير النكاح أيسره** » [٢] ، و « **خير الصداق أيسره** » [٣] « **وإن من يمن المرأة تيسير خطبتها ، وتيسير صداقها ، وتيسير رحمها** » [٤] وبالعمل بالتعدد وتطبيقه فعلياً وإلا فالبديل كما نرى ونعلم جميعاً ، فإما تأخر زواج الفتاة حتى إلى ما بعد الثلاثين عاماً بعد ما تذبل وتفقد الكثير من نضارتها وحيوتها ، وإما الارتباط بفتى مستهتر لا دين له ولا خلق ـ بدون إذن الولي ـ بورقة لا قيمة لها لا

---

(١) المرأة في الإسلام ، حقائق إسلامية في مواجهة حملات التشكيك ـ بتصرف .

(٢) ، (٣) ، (٤) صحيح الجامع

شرعاً ولا عرفاً سليماً ، وإما الوقوع في الفاحشة حتى بدون هذه الورقة الزائفة ، وإما تجرع مرارة الصبر بالبقاء بدون زوج وقيم وعائل بعد ولى الأمر .

وعودة إلى عمل المرأة خارج بيتها ؛ فإذا كان الرضاع وحده يتطلب مع الحمل ثلاثين شهراً فما عدد الشهور المطلوبة **لتربية** و**ـ انفصال** ـ هذا الكائن البشرى عن أمه بدخوله في فترة المراهقة ؟! .

إن السير في ركاب المدنية الزائفة بلا تبصرة ولا وعى ولا روية ألا نراه يورد أنفسَ الكائنات موارد الهلكة والبوار!؟ . . . وكم من شباب انحرفت بهم الحياة ، أو انحرفوا هم بها نتيجة ـ **للفراغ** ـ الذي عاناه من ـ **انشغال** ـ أمه عنه بغيره ! سواء أكان عملاً أو ما يتطلبه أسلوب العمل في هذا العصر ! .

إنني لا أبالغ إذا قلت أن أكثر العصابات التي يطلقون عليها بالإرهابية في مجتمعات الغرب تتكون من المراهقين والمراهقات الذين ما وجدوا الصدر الحنون، ولا اليد الحانية ، ولا القلب الواسع ، ولا العواطف الجياشة في طفولتهم ، حتى غدت الأمور هناك تشكل ظواهر بيئية واجتماعية يتخصص في دراستها وتحليلها الباحثون .

وهل يمكن أن يتحقق هذا الأنس الروحي،وذاك السكن،وتلك المودة والرحمة، في بيت قعيدته امرأة أبداً إلى العمل متطلعة ، وبه منهكة ، وبمسؤولياته مرهقة ، وبروتينه مملة ، وبالتزاماته سجينة !؟ إنها نقطة تأمل وروَّية !؟ أليست ثمة بيوتات تتكهرب أجواؤها من لمسة تعامل خالية من الود والسكن بسبب غياب ـ **الحس** ـ الأنثوي !؟ بعد أن ضاع ذاك الحس في زحمة العمل !؟ .

ثم في قول الله ـ تبارك وتعالى ـ:﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا** ﴾ [التحريم : ٦] ، يلحظ فيه معنى إيمانياً جليلاً لا يتصور إتيانه في بيت خرجت نساؤه إلى أسواق العمل وعرفن بالتبرج والاختلاط ، وإبداء ما أمر الله بإخفائه ، كما هو حال كثير من نساء المسلمين اليوم.

وإذا كنا لا نقتنع بضخامة مشكلاتنا الاجتماعية ، فلنتأمل إذن بعين وجلة مشفقة إلى مشكلات الغرب وقد سبقنا إليها ... ! .

أقول ... كل هذه المعاني السامقة وكل هذه الأهداف الكبيرة التي يرمى إليها الإسلام ، هل يمكن تحقيقها إذا خرجت المرأة من بيتها متعطرة متبرجة ، تزاحم الرجال بالمناكب والأقدام ـ إي والله ـ على اختلاف أجناسهم وطباعهم وألوانهم ... في الشارع ... في الحافلة ... في مكاتب العمل ... في المصانع ... في ثكنات الجنود ... في النوادي ... في مدرجات الجامعة ؟ !!! .

إن نظرة إلى الواقع الآسن الذي تعيشه المجتمعات المسلمة التي تشكو من مشكلات في البيوت ... ومشكلات الطلاق ... ومشكلات الأخلاق ... ومشكلات الرجولة والأنوثة ! كل ذلك له دلالته حول انحراف الناس عن هدى السماء ، إلى غثاء التقليد ، وأي تقليد ! ؟ ... فإذا الناس غير الناس ... وإذا الأرض غير الأرض ...[١] .

وفى تقديري الشخصي أن السبب في استفحال ظاهرة البطالة هذه الأيام وما تسببه من تأخر سن الزواج ، بل وتعسره بالمرة ، وبالتالي انتشار الفاحشة بين الشباب ، بل في المجتمع الإسلامي بأسره ، يرجع إلى حد بعيد بسبب مزاحمة المرأة للرجال في كثير من الوظائف التي قد لا تتناسب مع طبيعتها الأنثوية ، **ناهيك عن عدم شرعيتها أساساً** ، فإنه إذا عملت المرأة في غير وظائف النساء تعطل رجل عن العمل فتعطلت إقامة أسرة جديدة ، والبديل المحرم أصبح أيسر ، وخصوصاً مع الإعلام الفاحش ، واعتبار تعليم الدين في المدارس أمراً هامشياً .

منذ نصف قرن كانت مشكلة المرأة هي الحجاب والسفور ... وكانت الحجة لضرورة سفورها هي أنه ينبغي أن تخرج وتتعلم لتقوى على تربية أطفالها ... وتعلمت المرأة ... واشتغلت ؛ ولكن بعد أن كان الجهل فيما مضى يمنع المرأة

---

(١) عمل المرأة وموقف الإسلام منه .

من تربية أولادها التربية الصحيحة ... صار التعليم هو الذي يحول الآن بينها وبين ذلك ... فالتعليم يقود المرأة إلى العمل ... والعمل لا يترك للمرأة وقتاً كافياً تربى فيه أولادها ... ولذلك ... فهي إما أن تعتمد على ـ **الخادمة** ـ أو ـ **الجدة** ـ إن وجدت أو على ـ **دور الحضانة** ـ هؤلاء الثلاثة هم الذين يتولون أبناء المرأة العاملة في أيامنا هذه !! ، فهل في ظل هذه الظروف يمكن أن تنمو شخصية الطفل ! .

لقد أتاح لها التعليم من أجل الوظيفة حرية أحالتها هي بيدها إلى فوضى ، فإن كثرة الخروج ذهاباً وإياباً جعلت ذلك عادة للفتاه يصعب التخلي عنها ... وصار لها زملاء ... فأصدقاء ... وصارت لها حاجات تتصل بالمستقبل تجعلها موزعة الجهد والوقت ... من هنا إلى هناك ... هكذا بلا رقيب أو حسيب ! .

وكان الاختلاط الذي أسموه ـ **هادفاً** ـ ونسميه باسم الإسلام ـ **هادماً** ـ وكذبوا حتى زعموا برود الغريزة في ظل من اللقاء المتكرر ... ونسوا أن الزوج يعاشر زوجته خمسين عاماً ... وهي بين يديه حلال له ... ومع ذلك فلا مانع من أن تستيقظ الغريزة معها !؟ .

لقد سارت المرأة مع تيار الأهواء ... وإنها لتذوق اليوم ويلاتها ... وليت الأمر يتوقف عليها ... بل إن الخاسر الحقيقي في هذه القضية هو الطفل المظلوم ... فهل يمكن للأم العاملة أن تجد المحضن الذي يعوض الطفل ما افترضه الإسلام له من رعاية ؟! وهل تجد الأم النشاط الكافي لتربيته آخر النهار في أعقاب هموم العمل أوله ؟ وهل نعدو الحقيقة إذا قلنا إن مثل هذا الذهن المكدود غير قادر على الوفاء بحاجة الطفل إلى الحنان والرعاية ... لأنه يعيش في دوامة القلق ... وإذا كان هناك من حديث عن المتاعب داخل الأسرة ... فليست هي متاعب الطفل بغية إزالتها ... بل إنها متاعب العمل ... ومشاكله التي لا تنتهي بحال .

إن الأم حين تعود مثقلة بهموم العمل ... فإن تأثيرها لن يكون فقط على

نفسية الطفل بل إن دائرته تنعكس فيصل الضرر إلى صحته ، ولن تكفى القروش المجلوبة في تعويض ما فات ؛ ومن الغريب أن تُشغل غريزة الأمومة هناك في ديوان العمل ... فتقتصر يدها عن هدهدة الطفل ورعايته ... بينما الطفل في البيت ... في ظل رعاية مجلوبة مصطنعة لا تحركها أشواق الأمومة الخالصة .

والإسلام يريد للطفل أن يستصفى أعلى أنماط السلوك ... وأشرف العواطف عن طريق أمه وأبيه ... ليخرج فعلاً منسوباً إليهما لا إلى الدولة كما يفعل الشيوعيون ... فإذا مات الأب ... فهو في أحضان أمه ... أو جدته لها أو خالته أو... حتى لا يحس بالفجوة الطارئة لو دفع إلى غيرها ؛ **أما** والأم حيَّةٌ ترزق والزوجية أيضاً قائمة ... فإن الطفل حين يحرم تلبية حاجاته التي تمكنه مستقبلاً من العيش كريماً أو على الأقل حين لا تتوخى هذه المصلحة ... فإن الأمر يصبح يومئذ إهمالاً جسيماً في إنجاز ـ عمل ـ من أشرف الأعمال ... وفى غيبته فلا عمل ولا حياة ... ولا نجاة للطفل في ظل ـ **الخادمة** ـ التي قد تدفعه بكلتا يديها إلى طريق الغواية ... وقد نشرت **الصحف** كثيراً ما يثبت هذا .

قال الشاعر:

إن اليتيم هو الذي تلقى له   أمَّاً تخلَّت أو أباً شغولاً

إن المرأة العاملة تستفيد ... أصحيح هذا ... نعم ... لماذا ؟ لأن ضغط الحاجة وغلاء الأسعار فرضا عليها العمل ؛ ولكن أمقنع هذا ؟ كلا ...! لماذا ؟ لأن عمل الأم سوف يقتصر على أن يجعل حياة الطفل ـ **ممكنة** ـ ولكن إمكان الحياة ليست غاية التربية في الإسلام ... وإنما غايته العليا أن يجعل حياة الإنسان طيبة مباركة مثمرة ... وذلك يتطلب أن تقف أمه إلى جانبه ... تراقب هذا النهر الفوار بالعواطف ... تقترب منه ... وتتابعه وتسترسل معه ... إلى أن يفيض خيره ويعم بره .

والأطفال ... إن أمكن رعايتهم جسدياً ، لكن الرعاية النفسية والعقلية لا يقوم بها سوى الأم ، وأي جدوى من إنتاجها المادي وهى تعرض الإنتاج البشرى للتلف والبوار ! ؟ .

لقد كانت السمة العامة للمجتمع الإسلامي في مهده هي أنَّ تنْشِئة الولد عندهم غاية يتقربون إلى الله ـ تعالى ـ بإنجازها ... لا ليكون فقط امتداد الحياة ... وعدَّة المستقبل ... بل ليصير الولد قوى العقيدة... حسن الخلق... صلب الإرادة ... حيث يرشحه ذلك لينال شرف إقامة الدين في نفسه وبين مجتمعه والدفاع عنه وحراسة مبادئه... طاعة لله ولرسوله...ومن هنا كانت عظمة المرأة في حسن تبعلها لزوجها... وتربيتها لولدها... وليست في شئ وراء ذلك[1].

ومن كل هذه المجالات ، وكل تلك التطورات ، ما نجد أن الإسلام يعارض أن يكون للمرأة باع كبير في تنمية المجتمع وخدمته ، بل يضع جملة من الشروط ترمى إلى حماية المرأة والمجتمع من آفات الانحراف أو الميل ؛ وأكثر من هذا نجد الإسلام ـ وهو دين الواقعية ـ يفتح الباب أمام أية ضرورة تحكم ـ الواقع ـ في قضية عمل المرأة، كمسألة الجهاد الذي لم يكتبه الله على المرأة ولم يحرمه عليها ! ولم يمنعها منه حين تكون هناك حاجة إليها لا يسدها الرجال ؛ وقد شهدت المغازى الإسلامية آحاداً من النساء مقاتلات لا مواسيات ولا حاملات أزواد ، وكان ذلك بحسب الحاجة والضرورة ولم يكن هو القاعدة .

وملخص القول :

أن الأمر منوط بنصوص الشريعة وأهدافها ومقاصدها العامة التي تقوم على تحقيق المصالح ودرء المفاسد ، والضرورة تقدر بقدرها ، مما يساير أحوال المجتمع المسلم وظروفه ، ولا يتضارب مع القواعد الكلية المجمع عليها ... وفى القرآن الكريم غناء عن القوانين الوضعية التي إن سعت إلى المصالح لم تحط بها ويغيب

(١) تربية الأولاد في الإسلام من الكتاب والسُّنَّة .

عنها الكثير ... والسُّنَّة النبوية المطهرة خير دليل وشارح لما يخفى ، والسيرة النبوية والتاريخ الإسلامي يحفل بالكثير من الوقائع التي تتجدد على مر العصور بصورة أو بأخرى ... والله على كل شئ رقيب من قبل ومن بعد ! (١).

ونختم الكلام في هذا الموضوع بكلام الزعيم السوفيتي ميخائيل جورباتشوف ـ آخر رؤساء الإتحاد السوفيتي المنهار ـ **بسبب كفره بالله وظلم الناس** ـ في كتابه البيريسترويكا ؛ يقول : طوال سنوات تاريخنا البطولي ! والشاق عجزنا عن أن نولى اهتماماً لحقوق المرأة الخاصة واحتياجاتها الناشئة عن دورها كأم وربة منزل ووظيفتها التعليمية التي لا غنى عنها بالنسبة للأطفال ؛ إن المرأة إذ تعمل في مجال البحث العلمي ، وفى مواقع البناء ، وفى الإنتاج والخدمات ، وتشارك في النشاط الإبداعي ، لم يعد لها وقت للقيام بوجباتها اليومية في المنزل ـ العمل المنزلي ـ وتربية الأطفال وإقامة جو أسرى طيب ـ ؛ لقد اكتشفنا أن كثيراً من مشاكلنا في سلوك الأطفال والشباب وفى معنوياتنا وثقافتنا وفى الإنتاج ـ تعود جزئياً إلى تدهور العلاقات الأسرية ـ والموقف المتراخي من المسئوليات الأسرية ، وهذا نتيجة متناقضة لرغبتنا المخلصة والمبررة سياسياً لمساواة المرأة بالرجل في كل شئ(٢).

(١) عمل المرأة وموقف الإسلام منه .
(٢) البيريسترويكا .

يــوم في حيــاة اللاحــق

أول ما يستيقظ أحدهم من نومه فأول ما يجرى على لسانه ذكر محبوبه الأعلى ـ تبارك وتعالى ـ ، فيذكره ويتوجه إليه ويستعطفه ويتملق بين يديه ـ جلَّ وعلا ـ ، ويستعين به أن لا يخلي بينه وبين نفسه ، وأن لا يكله إليها طرفة عين ، وإلا وكل إلى ضعف وعجز وذنب وخطيئة ، فأول ما يبدأ به « **الْحَمْدُ للّه الَّذِى أَحْيَانَا بَعْدَ مَا أَمَاتَنَا وَإِلَيْهِ النُّشُورُ** »(١) ، متدبراً لمعناها من ذكر نعمة الله عليه بأن أحياه بعد نومه ـ وهو الموتة الصغرى ـ وأعاده إلى حاله سوياً سليماً محفوظاً من كل ما لا يعلمه ولا يخطر بباله من المؤذيات والمهلكات ، من شياطين الإنس والجن وغيرهما ، التي هو غرض وهدف لسهامها في وقت يغيب عنه حسه وعلمه وبصره وسمعه ، فلو جاءه البلاء من أي مكان لم يشعر به ـ فلا حافظ له إلا الله ـ عز وجلَّ ـ القائل : ﴿ **قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ** ﴾ [الأنبياء : ٤٢] ، ويحمده أيضاً على أنه أذن له بذكره ، فلو لم يأذن له بذكره ما ذكرهُ فـ « **إذا استيقظ أحدكم فليقل : الحمد لله الذي رد عليَّ روحي ، وعافاني في جسدي ، وأذن لي بذكره** »(٢) ، ويحمده على أنه أقامه لمناجاته وقد غطَّ في النوم غيره ، فيحمد الله ـ تبارك وتعالى ـ على كل ذلك ، ويتذكر أن الذي أعاده بعد هذه الإماتة حياً سليماً قادرعلى أن يعيده بعد موته الموتة الكبرى حياً كما كان ، ولذا يقول : « وَإِلَيْهِ النُّشُورُ » ثم يقول : « **لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ؛ الْحَمْدُ للَّه، وَسُبْحَانَ اللَّهِ، وَلاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ ، وَلاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ** »(٣) ، ثم يدعو الله ويتضرع ويتملق إلى ربه ومولاه .

ثم يقدم إلى سواكه فيستاك اقتداءً بحبيبه وخليل الرحمن ـ **محمد** ـ ﷺ ـ

(١) متفق عليه . (١) صحيح الجامع. (٣) البخاري.

فيصبح فمه نظيفاً طاهراً يصلح لمناجاة ربه وتلاوة كلامه وذكره ـ تبارك وتعالى ـ في الصلاة .

ثم يقدم إلى وَضوئه بقلب حاضر ، فيسمى الله ويتوضأ ويستصحب ما فيه من المعاني حيث أن « **الطُّهُورُ شَطْرُ الإِيمَانِ** »[(١)] ، فيطهر جوارحه من الأحداث والفضلات ،ومن الذنوب والآثام فـ « **إِذَا تَوَضَّأَ الْعَبْدُ الْمُسْلِمُ ـ أَوِ الْمُؤْمِنُ ـ فَغَسَلَ وَجْهَهُ خَرَجَ مِنْ وَجْهِهِ كُلُّ خَطِيئَةٍ نَظَرَ إِلَيْهَا بِعَيْنَيْهِ مَعَ الْمَاءِ ـ أَوْ مَعَ آخِرِ قَطْرِ الْمَاءِ ـ فَإِذَا غَسَلَ يَدَيْهِ خَرَجَ مِنْ يَدَيْهِ كُلُّ خَطِيئَةٍ كَانَ بَطَشَتْهَا يَدَاهُ مَعَ الْمَاءِ ـ أَوْ مَعَ آخِرِ قَطْرِ الْمَاءِ ـ فَإِذَا غَسَلَ رِجْلَيْهِ خَرَجَتْ كُلُّ خَطِيئَةٍ مَشَتْهَا رِجْلاهُ مَعَ الْمَاءِ ـ أَوْ مَعَ آخِرِ قَطْرِ الْمَاءِ ـ حَتَّى يَخْرُجَ نَقِيًّا مِنَ الذُّنُوبِ** »[(٢)]،ويطهر قلبه من جميع الأخلاق المذمومة والرذائل الممقوتة ، من الكبر والعجب والحسد والبغضاء و.... بل يطهر قلبه عما سوى ربه ومولاه ومحبوبه ـ جلَّ وعلا ـ ، ويسبغ الوضوء ـ أي يتمه ويوفيه ـ كما كان رسول الله ـ ﷺ ـ يتوضأ ويقتصد في الماء ما أمكن ، فقد كان هذا هدى حبيبه محمد ـ ﷺ ـ ، قال الله ـ تبارك وتعالى ـ : ﴿ **وَلا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ** ﴾ [الأعراف : ٣١] .

ثم بعد أن ينتهي من وضوئه يرفع طرفه إلى السماء كما كان يفعل سيد ولد آدم ـ محمد ـ ﷺ ـ ويقول : « ... **أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ** ... »[(٣)]، وزاد الترمذي « **اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين** »[(٤)] ، ثم يقول : « ... **سبحانك اللهم وبحمدك ، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك** ... »[(٥)] ، و« **اللهم اغفر لي ذنبي ، ووسع لي في داري ، وبارك لي في رزقي** »[(٦)] .

وفي الوضوء من الأدب مع الله ـ تبارك وتعالى ـ من النظافة والتطهر من

---

(١) ، (٢) ، (٣) مسلم .

(٤) صحيح رياض الصالحين.

(٥) صحيح الجامع .

(٦) صحيح الجامع .

الأوساخ ومن الذنوب قبل الدخول على ملك الملوك لمناجاته في الصلاة ، فالمرء يتحرى ذلك عند مقابلة ملوك الدنيا ، فما بالنا بملك الملوك ـ جلَّ وعلا ـ .

ثم يقوم إلى صلاته مستشعراً في قيامه بين يديه كمال التعظيم والاحترام والإجلال والاهتمام بالإكرام لربه ، فيصلي ما كتب له ربه مما كان رسول الله ـ ﷺ ـ يحافظ عليه من قيام الليل والتهجد ، فقد « **قَالَتْ أم المؤمنين عَائشَةُ** ـ رضي الله عنها ـ : **مَا كَانَ يَزِيدُ رسول الله ـ ﷺ ـ في رَمَضَانَ وَلاَ غَيْرِهِ عَلَى إِحْدَى عَشْرَةَ رَكْعَةً** »(١) ،وفي الحديث المتفق عليه أن « **صَلاَةُ اللَّيْلِ مَثْنَى مَثْنَى ، فَإِذَا خِفْتَ الصُّبْحَ فَأَوْتِرْ بِوَاحِدَةٍ** » مستقبلاً القبلة ـ الكعبة ـ بيت الله الحرام ، وفيه من الإشارة إلى إرادة وجه الله وقصده وحده في كل عمل وفي كل زمان ومكان ، وفي كل الأمور فـ﴿ **كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ** ﴾ [القصص : ٨٨]وهو ـ سبحانه ـ لا يفنى ولا يموت ﴿ **وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لا يَمُوتُ** ﴾ [الفرقان : ٥٨] ، فيقف بين يدي مولاه خاشعاً ذليلاً مستحياً منه بسبب ذنوبه وبسبب تقصيره في حق مولاه ، مجتهداً في إصلاح صلاته لعلها تُقبل فتكون سبباً عظيماً لتكفير سيئاته وبلوغه الدرجات العلا « **إن في الجنة غرفًا يرى ظاهرها من باطنها ، وباطنها من ظاهرها ، أعدها الله لمن أطعم الطعام ، وأفشى السلام ، وصلى بالليل والناس نيام** »(٢) .

فيرفع يديه **بالتكبير** ، وهو مفتاح الدخول على ملك الملوك ، مكبراً ربه عن كل ما سواه من مال وولد ووالد وجاه وعمل و... فينسى ما سواه لأن كل ما سواه صغير بالنسبة له ، بل لا مقارنة أصلاً ، بل هو أكبر من كل تكبير له منا نحن ـ سبحانه وتعالى ـ ، فيستشعر العبد ذلك فيتأدب في الوقوف بين يديه ، وفي كل حياته في غير الصلاة بعد انقضائها ويخشع لربه ، يخشع قلبه وتخشع جوارحه ويلين جلده ويجتمع همه وخاطره ، ويقبل بكليته على ربه ومولاه؛

---

(١) البخاري . (٢) صحيح الجامع .

فيخضع ويذل ويستكين له رامياً بطرفه مكان سجوده لمولاه وسيده ، كأنه يرى ربه ، ولعلمه أن ربه يراه فيتأدب غاية الأدب بعقله وقلبه وجميع جوارحه ، فربه صاحب الكبرياء والعظمة ، جليل القدر ، عليّ الشأن ، فلا كبير سواه يستحق ذلك،وكل ما سواه حقير عاجز، فعلم ذلك يقطع الأمل عن التعلق بغيره ، حتى نفسه التي بين جنبيه، متذكراً قول حبيبه رسول الله ـ ﷺ : « ... **أصلح لي شأني كله ، ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين**»[١]، رامياً بطرفه مكان سجوده ، وفيه من التواضع والتذلل لله رب العلمين ما فيه ، فمن المستقر عند الناس كافة أن رفع العنق آية التكبر و... وتنكيسه آية الخضوع والإخبات .

ثم يفتتح صلاته بالدعاء المأثور عن رسول الله ـ ﷺ ـ في قيام الليل متدبراً كل معانيه«**اللَّهُمَّ رَبَّ جِبْرَائِيلَ وَمِيكَائِيلَ وَإِسْرَافِيلَ،فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ، عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ،أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ اهْدِنِي لِمَا اخْتُلِفَ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِكَ،إِنَّكَ تَهْدِي مَنْ تَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ**»[٢] ، أو « **اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ قَيِّمُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ وَلَكَ الْحَمْدُ ، لَكَ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ، وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ الْحَقُّ، وَوَعْدُكَ الْحَقُّ ، وَلِقَاؤُكَ حَقٌّ، وَقَوْلُكَ حَقٌّ، وَالْجَنَّةُ حَقٌّ ، وَالنَّارُ حَقٌّ ، وَالنَّبِيُّونَ حَقٌّ ، وَمُحَمَّدٌ ـ ﷺ ـ حَقٌّ ، وَالسَّاعَةُ حَقٌّ ، اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ ، وَبِكَ آمَنْتُ وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ ، وَإِلَيْكَ أَنَبْتُ ، وَبِكَ خَاصَمْتُ ، وَإِلَيْكَ حَاكَمْتُ ، فَاغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ ، أَنْتَ الْمُقَدِّمُ وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ ، لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ ـ أَوْ لاَ إِلَهَ غَيْرُكَ ـ وَلاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ** »[٣] .

أو يقول : « **وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفاً وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ، إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، لاَ شَرِيكَ**

---

(١) صحيح الجامع . (٢) مسلم. (٣) متفق عليه.

لَهُ ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ ، وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، اللَّهُمَّ أَنْتَ الْمَلِكُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ ، أَنْتَ رَبِّي وَأَنَا عَبْدُكَ ظَلَمْتُ نَفْسِي وَاعْتَرَفْتُ بِذَنْبِي فَاغْفِرْ لِي ذُنُوبِي جَمِيعاً إِنَّهُ لاَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ أَنْتَ ، وَاهْدِنِي لأَحْسَنِ الأَخْلاَقِ لاَ يَهْدِي لأَحْسَنِهَا إِلاَّ أَنْتَ ، وَاصْرِفْ عَنِّي سَيِّئَهَا لاَ يَصْرِفُ عَنِّي سَيِّئَهَا إِلاَّ أَنْتَ ، لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ وَالْخَيْرُ كُلُّهُ فِي يَدَيْكَ ، وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ ،أَنَا بِكَ وَإِلَيْكَ ، تَبَارَكْتَ وَتَعَالَيْتَ ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ »(١) ؛ وهذا الدعاء كان رسول الله ﷺ يقوله في الفرض والنفل .

أو يقول في الصلوات المفروضة « **اللَّهُمَّ بَاعِدْ بَيْنِي وَبَيْنَ خَطَايَايَ كَمَا بَاعَدْتَ بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ ، اللَّهُمَّ نَقِّنِي مِنَ الْخَطَايَا كَمَا يُنَقَّى الثَّوْبُ الأَبْيَضُ مِنَ الدَّنَسِ ، اللَّهُمَّ اغْسِلْ خَطَايَايَ بِالْمَاءِ وَالثَّلْجِ وَالْبَرَدِ** »(٢) ، أو « **سبحانك اللهم وبحمدك ،وتبارك اسمك ،وتعالى جدُّك ،ولا إله غيرك** »(٣) ، فيتخير دعاءً واحداً حتى لا يطيل على المؤتمين إن كان إماماً .

ثم يلجأ إلى ربه مستغيثاً به من الشيطان الموسوس الخناس ـ لعنه الله ـ حتى لا يشغله عن ربه في صلاته ، بل يستعين به في كل أمور حياته من هذا الرجيم ، ثم يسمى باسم ربه الذي وسعت رحمته كل شيء ، ثم يتلو فاتحة الكتاب متدبراً لمعانيها، كما بيَّناه في شرح بعض معانيها (٤)، فيناجي ربه مبتدءاً بحمده وهو سيد العالمين ـ أي كل ما سوى الله ـ عز وجلَّ ـ فهو جلَّ شأنه ـ سيد المرء وأهله بل وحيِّه وقريته ومدينته وقطره ، والعالم كله إنسه وجنه ، والملائكة وسائر ما في الكون . . . ومربيهم والقائم بأمورهم ، وهو المعبود الحق ؛ ثم الثناء عليه برحمته التي سبقت غضبه ـ فيرجو ساعتها مغفرته لذنبه قبل أن يعاقبه ، وقد أمهله ربه دهراً علَّه يتوب ، ثم يُمَجد ربه ملك يوم القيامة وحده بلا منازع ، وإن كان هو

---

(١) مسلم.
(٢) متفق عليه .
(٣) صحيح سنن أبو داود .
(٤) سبق ذكره .

كذلك في الدنيا وحده لكن نازعه بعض الذي يأكلون الطعام من خلقه افتراءً عليه ، فكان مآلهم أن أخذهم الملك الحق أخذ اليم شديد فبادوا بعد ما رمّوا ، ـ عبرة لكل ذي لب ـ ، ثم يحييهم يوم القيامة لينالوا جزاء ما اقترفوا وتطاولوا وتعالوا على الله وعلى خلقه مع كمال ضعفهم في الدنيا ! ، ثم يتوجه لربه ومولاه صادقاً في قوله بأن لا إله غيرك أنت أتوجه إليه بجميع عباداتي (١) ، وأستعين بك أنت وحدك في كل عباداتي هذه ، **أي في كل حياتي** ، أنا وكل من أسلم لك من جميع المسلمين ، من كان منهم قبلي ومن يأتي بعدى ، فأنا يارب من جملتهم ، فأحيني مسلماً من المسلمين ، منقاداً لك في جميع أوامرك ومنتهياً عن كل ما نهيتني عنه ، وتوفني مسلماً من المسلمين لك وألحقني بهم بالقُرب من جنابك في جنات الخلد .

واهدني وكل إخوانى المؤمنين ـ وهذا مفهوم من قوله ـ عز وجلَّ ـ ﴿ **اهْدِنَا** ﴾ وليس اهدني ـ إلى طريقهم المستقيم بلزوم دين الإسلام وعبادتك والترقي إليك بالقُرَبِ حتى الممات ، من قربة إلى اخرى أعلى منها درجة ... طريق الذين أنعمت عليهم بكل نعم الدنيا والآخرة من النبيين ، وأولهم وسيدهم ـ **محمد** ـ ﷺ ـ ، الذي أرسلته لنا وللناس كافة ، ثم جميع أنبيائك ورسلك ، وسائر الصديقين والشهداء والصالحين ، **نعم الدنيا** بحبك والتلذذ بعبادتك وذكرك ومناجاتك والدعوة لدينك ومجاهدة أعدائك ، **وفى الآخرة** بالقرب منك ورؤية وجهك الكريم وسماع كلامك ،لا طريق من قد غضبت عليه من اليهود وغيرهم ، ولا الذين ضلّوا من النصارى وغيرهم ، فاللهم استجب ولا تخيب رجانا، فمثلك لا يخيب رجاء عبده .

ثم يقرأ ما تيسر له من كلام ربه ومولاه مناجيًا إيَّاه ممتلئاً هيبة وإجلالاً لسيده

---

(١) **العبادة**: هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ـ عز وجل ـ ويرضاه من أقوال وأعمال العباد الظاهرة والباطنة ، مما أمرهم به الله في كتابه وعلى لسان رسوله ـ محمد ـ ﷺ ـ .

ومولاه، مصغياً لأوامر ربه له التي يتلوها من كتابه متأدباً بها ، يرى كيف حب ربه له ولطفه به من جميل الخطاب ولطيف العبارات ، **فتجذب** قلبه وروحه إلى مولاه آيات المحبة والوداد وآيات الأسماء والصفات ، وتطيب له السير إلى ربه آيات الرجاء والرحمة والمغفرة فتكون له بمنزلة الحادي الذي يطيب له السير ويهونه ، **وتقلقه** آيات الخوف والعدل والانتقام وإحلال العقوبة على العاصين العادلين إلى ما هو دونه ، وهو العبد الضعيف الذي لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً ولا حول ولا قوة له إلا بحول وقوة مولاه ؛ فيتملق لمولاه تملق المحب لمحبوبه العزيز الرحيم ويناجيه بكلامه معطياً لكل آية حظها من العبودية ، وبالجملة فيشاهد المتكلم ـ سبحانه وتعالى ـ وقد تجلى في كلامه ويعطي كل آية حظها من عبودية قلبه الخاصة الزائدة على نفس فهمها ومعرفة المراد منها ، ثم شأن آخر لو فطن له العبد لعلم أنه كان قبل يلعب .

قال المحب :

وكنت أرى أن قد تناهى بي الهوى ... إلى غاية ما بعدها لي مذهب
فلما تلاقينا وعاينت حسنها ... تيقنت أني إنما كنت ألعب

وبعد أن ينتهي من القراءة **يكبر ربه** مستحضراً معنى التكبير على ما ذكرنا سابقاً ،ثم يخر منحنياً لربه **راكعاً** له مسبحاً له باسمه العظيم قدر عشر تسبيحات، منزهاً له عن كل نقص، واصفاً له بكل كمال، فهو ـ سبحانه ـ له الأسماء والصفات الحسنى،مفرداً إياه عن مشابهة جميع خلقه في كل شيء ـ جلَّ وعلا ـ عظيم في ذاته وفى صفاته وفى أفعاله،مستناً برسول الله ﷺ في ذلك مطمئناً في ركوعه،كما حكاه عنه خادمه أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ فـ« **أسوأ الناس سرقة الذي يسرق من صلاته ،لا يتم ركوعها ولا سجودها ولا خشوعها** »[1]، ذلك لأنه يسرق في بيت الملك وهو واقف بين يديه وليس بينه وبين ربه حاجب

(١) صحيح الجامع.

ولا ترجمان ، فأين الحياء إن لم يكن أين الأدب ، وبسرقته لصلاته يفسدها فيفسد خير عمله بل يفسد عمله كله ، و« رأى رسول الله ـ ﷺ ـ رجلاً لا يتم ركوعه وينقر في سجوده وهو يصلي ، فقال رسول الله ـ ﷺ ـ : **لو مات هذا على حاله هذه مات على غير ملة محمد ـ ﷺ ...** »[١] .

ويدعوا ربه ويتملق إليه وهو في هذا الوضع خاضعاً متواضعاً متذللاً له وحده قائلاً : « **اللَّهُمَّ لَكَ رَكَعْتُ وَبِكَ آمَنْتُ وَلَكَ أَسْلَمْتُ ،خَشَعَ لَكَ سَمْعِي وَبَصَرِي وَمُخِّي وَعَظْمِي وَعَصَبِي** »[٢]، و« **سُبُّوحٌ قُدُّوسٌ رَبُّ الْمَلاَئِكَةِ وَالرُّوحِ** »[٣]، و« **سبحان ذي الجبروت والملكوت والكبرياء والعظمة** »[٤]، و« **سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي** »[٥]، مستشعراً في ركوعه هذا زيادة في كمال التعظيم والانقياد بالذل والخضوع طمعاً في القرب وتحصيل رضا رب العالمين ، ثم يقوم من ركوعه حامداً ربه بما هو أهله ، قائلاً :« **اللَّهُمَّ رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ مِلْءَ السَّمَوَاتِ وَمِلْءَ الأَرْضِ وَمِلْءَ مَا شِئْتَ مِنْ شَيْءٍ بَعْدُ أَهْلَ الثَّنَاءِ وَالْمَجْدِ لاَ مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ ،وَلاَ مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ وَلاَ يَنْفَعُ ذَا الْجَدِّ مِنْكَ الْجَدُّ**»[٦]، و« **اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ مِلْءُ السَّمَاءِ وَمِلْءُ الأَرْضِ وَمِلْءُ مَا شِئْتَ مِنْ شَيْءٍ بَعْدُ ، اللَّهُمَّ طَهِّرْنِي بِالثَّلْجِ وَالْبَرَدِ وَالْمَاءِ الْبَارِدِ ، اللَّهُمَّ طَهِّرْنِي مِنَ الذُّنُوبِ وَالْخَطَايَا كَمَا يُنَقَّى الثَّوْبُ الأَبْيَضُ مِنَ الْوَسَخِ** »[٧]، أو « **لربي الحمد ، لربي الحمد** »[٨]، فله ـ سبحانه وتعالى ـ الحمد كله ، فلا يزال على ذلك حامداً ربه ومولاه حتى يُظَن أنه قد نسي،وكيف ينسى وقلبه مستغرق بذكر ربه والتضرع له،ثم **يكبر** ربه مستحضراً معنى التكبير على ما ذكرنا سابقاً.

ثم يخر **ساجداً** له ـ جلَّ وعلا ـ مسبّحاً لربه باسمه الأعلى قدر عشر تسبيحات، يخر ساجداً على جبهته ، أشرف مكان فيه ، متواضعاً لربه ذليلاً له

---

(١) صحيح الترغيب والترهيب
(٢)، (٣) مسلم
(٤) صحيح سنن النسائي
(٥) متفق عليه .
(٦)، (٧) مسلم.
(٨) أحمد.

منزهه عن كل نقص ، واصفه بكل كمال ، مفرده عن مشابهة جميع خلقه في كل شيء ، فهو ـ سبحانه ـ له العلو المطلق من جميع الوجوه ، علو الذات وعلو الفوقية وعلو القدر والصفات وعلو الغلبة والقهر، وبجميع صفات العظمة والكبرياء والجلال والجمال وغاية الكمال اتصف ، وإليه فيها جميعاً المنتهى ، وهو ـ سبحانه ـ أعلى وأجلّ وأعظم من كل ما يصفه به الواصفون المحبون ، ومن كل ذكر طيب يذكره به الذاكرون المحبون ، فجلال كبريائه أعلى من معارفنا وإراداتنا ، وأصناف آلائه ونعمائه أعلى من حمدنا وشكرنا ، وأنواع حقوقه أعلى من طاعاتنا وأعمالنا ، سبحانه لا نحصى ثناءً عليه ، هو كما أثنى على نفسه .

ومع ذلك بفضله يرضى من عباده باليسير من العمل ويجازى عليه بما لا تدركه العقول من الفضل وزيادة ، فيستشعر العبد ذلك داعياً ربه من فضله بخيري الدنيا والآخرة ، فهو ـ جلَّ وعلا ـ الذي بيده خزائن السماوات والأرض ، وربه الأعلى وعبده ساجد بين يدي مولاه ، لا يملك من أمر نفسه شيء ، مفتقر إلى ربه في كل شيء ، لا غنى له عن ربه طرفة عين .

والسجود هو سر الصلاة وركنها الأعظم وخاتمة الركعة وغايتها وما قبلها من الأركان كالمقدمات له وتوطئة بين يديه ، فلهذا « **أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ وَهُوَ سَاجِدٌ فَأَكْثِرُوا الدُّعَاءَ** »(١)، فالعبد يضع أشرف شيء منه وأعلاه وهو وجهه بما فيه أنفه على الأرض خضوعاً وخشوعاً لربه وتذللاً لعظمته ، الأرض التي ذللها الله للوطء بالأقدام واستعمله فيها ورده إليها ووعده بالإخراج منها ، فهي أمه وأبوه وأصله وفصله، فضمته حياً على ظهرها وميتاً في بطنها ، وجعلها الله له طهراً ومسجداً ، فلذلك كان السجود أفضل الأركان الفعلية للصلاة وسرها التي شرعت لأجله ، لذلك كان تكراره في الصلاة أكثر من تكرار سائر الأركان ! .

---

(١) مسلم.

ويدعوه من واسع فضله قائلاً : « اللَّهُمَّ لَكَ سَجَدْتُ وَبِكَ آمَنْتُ وَلَكَ أَسْلَمْتُ ، سَجَدَ وَجْهِي لِلَّذِي خَلَقَهُ وَصَوَّرَهُ وَشَقَّ سَمْعَهُ وَبَصَرَهُ ، تَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ » (١) ،و« اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي كُلَّهُ ،دِقَّهُ وَجِلَّهُ ،وَأَوَّلَهُ وَآخِرَهُ ، وَعَلَانِيَتَهُ وَسِرَّهُ » (٢) ، و« اللَّهُمَّ اجْعَلْ فِي قَلْبِي نُوراً ،وَفِي سَمْعِي نُوراً ، وَفِي بَصَرِي نُوراً ،وَعَنْ يَمِينِي نُوراً ، وَعَنْ شِمَالِي نُوراً ،وَأَمَامِي نُوراً ،وَخَلْفِي نُوراً ، وَفَوْقِي نُوراً ، وَتَحْتِي نُوراً ،وَاجْعَلْ لِي نُوراً ،أَوْ قَالَ :وَاجْعَلْنِي نُوراً » (٣) ، وفي السجود من نهاية المبالغة في التعظيم وعلامة على شكر المنعم بمزيد من الذل والخضوع بإلصاق أشرف شيء في الجسد بالسجود لرب الأرض والسماوات ، ليكون أقرب ما يكون من ربه الأعلى من كل عالٍ يُعتقد فيه شيء من العلو ، بل كل علوٍّ سوى علوه وَهْمٌ وزائل ، فكل علوٍّ يستفاد من علو الله - تبارك وتعالى -.

فالسجدة وإن كانت تخفض وجه الإنسان في الأرض لكنها في نفس الوقت ترفعهُ وتُعليه ، وتوحد وجهته ، فلا سُجُود إلا لله ، فكم تحرره هذه السجدة من السجود لآلهة مزعومة كثيرة .

قال الساجد لله :

فهذا السُّجود الذي تَجْتَويه ... به مِنْ أُلوف السُّجُود نَجَاة

وقال أيضاً :

سجدة تخفض الجباه ولكن ... عَزّ فيها مُسَبِّح وتَعَالى
ظَنُّها الجَاهِلُونَ غُلا ولكن ... هي في الحَقّ تُحَطِّم الأغلالا
تُثْبِتُ الوَجْه والجوارح في ... الأرض ولكن تُقَلْقِلُ الأَجْبَالا
خرَّ فيها لِسَاجِد كُلُّ شيء ... ووعى الدَّهر قَوْله والفعَالا
هي لله وحدته فَعَزَّت ... ومَحَتْ كُلَّ غَاشِم يَتَعَالَى
في سُكُون وَلِلقُلُوب مسير ... يَمْلأ الأرض هِمَّة وصِيَالا
من وعاها وعى السِّيَادَة في ... الأرض جَمَالا وَرَحْمَة وجَلالا

(١) ، (٢) مسلم.
(٣) متفق عليه .

ثم يكبر فَيَقْعُدُ بَيْنَ السَّجْدَتَيْنِ داعياً ربه متملقاً له « **رب اغفر لي** »[١] ، و« **اللهم اغفر لي وارحمني ، وعافني واهدني وارزقني** »[٢] ، وورد بزيادة « **واجبرني وارفعني** » ، وكان من هديه ـ ﷺ ـ إطالة هذا الركن بقدر السجود حتى كان الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ يقولون قَدْ أَوْهَمَ أو نسى ، وفى صحيح سنن أبى داود أن النبي ـ ﷺ « **... كان يقعد فيما بين السجدتين نحواً من سجوده ، وكان يقول رب اغفر لي ، رب اغفر لي ...** » .

ثم يهوى إلى السجدة مرة أخرى فيكرر على نحو الأولى مستحضراً فضل الله ـ جلَّ وعلا ـ على لسان رسوله ـ ﷺ ـ « **إن العبد إذا قام يصلي أتي بذنوبه كلها فوضعت على رأسه وعاتقيه فكلما ركع أو سجد تساقطت عنه** »[٣] ، ثم يكبر فيقوم واقفاً بين يدي مولاه للركعة الثانية فيعمل فيها مثل الأولى بداية من قراءة فاتحة الكتاب ... .

ثم في آخر صلاته يجلس للتشهد جلسة الخاشع المستكين،المتذلل لربه محيياً ربه ـ عز وجلَّ ـ بأعظم التحيات وأطيبها وأكثرها ..... لرب عظيم مبارك طيب في ذاته وصفاته وأفعاله وأسمائه ، وجعلت كلمات التحيات في آخر الصلاة بمنزلة خطبة الحاجة أمامها، فإن المصلى إذا فرغ من صلاته جلس جلسة الراغب الراهب يستعطى من ربه ما لا غنى به عنه ، فشرع له أمام استعطائه كلمات التحيات مقدمة بين يدي سؤاله ثم يتبعها بالصلاة على رسول الله ـ ﷺ ـ ثم يدعو.

ولما كانت الصلاة قد اشتملت على عبودية جميع الجوارح والأعضاء مع عبودية القلب،فلكل عضو منها نصيب من العبودية ، فجميع أعضاء المصلي وجوارحه متحركة في الصلاة عبودية لله وذلاً وخضوعاً ، فلما أكمل المصلي هذه العبودية وانتهت حركاته ختمت بالجلوس بين يدي الرب ـ تبارك وتعالى ـ جلوس تذلل وانكسار وخضوع لعظمته ـ عز وجلَّ ـ كما يجلس العبد الذليل بين يدي

---

(١) النسائي. (٢) صحيح سنن أبو داود. (٣) صحيح الجامع.

سيده ، ولما كان جلوس الصلاة أخشع ما يكون من الجلوس وأعظمه خضوعاً وتذللاً فأذن للعبد في هذه الحال بالثناء على الله ـ تبارك وتعالى ـ بأبلغ أنواع الثناء وهو التحيات لله والصلوات والطيبات .

وإن كان من عادات الناس إذا دخلوا على ملوكهم أن يحيّوهم بما يليق بهم وتلك التحية تعظيم لهم وثناء عليهم ، فالله ـ عز وجلَّ ـ أحق بالتعظيم والثناء من كل أحد من خلقه ، فجمع العبد في قوله التحيات والصلوات والطيبات أنواع الثناء على الله ، وأخبر أن ذلك له وصفاً وملكاً ، وكذلك الصلوات كلها لله ، فالعبد يصلي له وحده لا لغيره،وكذلك سائر المخلوقات غيره تصلى لربها وبارئها ﴿كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ﴾ [النور: ٤١] وكذلك الطيبات كلها من الكلمات والأفعال كلها له ، فكلماته طيبات وأفعاله كذلك وهو طيب لا يصعد إليه إلا الطيب،والكلم الطيب إليه يصعد،فكانت الطيبات كلها له ومنه وإليه،له ملكاً ووصفاً ، ومنه مجيئها وابتداؤها،وإليه مصعدها ومنتهاها ، والصلاة مشتملة على عمل صالح وكلم طيب،والكلم الطيب إليه يصعد،والعمل الصالح يرفعه ، فناسب ذكر هذا عند انتهاء الصلاة وقت رفعها إلى الله ـ تبارك وتعالى ـ .

ثم لَمَّا أتى بهذا الثناء على الله ـ تبارك وتعالى ـ التفت إلى شأن الرسول ـ ﷺ ـ الذي حصل هذا الخير على يديه ؛ فيسلم عليه أتم سلام معرَّف باللام التي للاستغراق مقروناً بالرحمة والبركة .

ثم ينتقل العبد إلى السلام على نفسه وعلى سائر عباد الله الصالحين « ... فَإِذَا قَالَهَا أَصَابَتْ كُلَّ عَبْدٍ لِلَّهِ صَالِحٍ فِي السَّمَاءِ وَالأَرْضِ ... » [(١)] ، وبدأ بنفسه لأنها أهم والإنسان يبدأ بنفسه ثم بمن يعول ، ثم ختم هذا المقام بعقد الإسلام وهو التشهد بشهادة الحق التي هي أول الأمر وآخره وعندها كل الثناء والتشهد ، وكان عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ إذا جلس في الصلاة وضع يديه على ركبتيه وأشار

(١) متفق عليه .

بإصبعه السبابة وأتبعها بصره ثم قال ، قال رسول الله ـ ﷺ ـ : « **لهيَّ أشد على الشيطان من الحديد** »(١)،ثم ينتقل العبد إلى نوع آخر من العبودية وهو **الدعاء والطلب**،فالتشهد يجمع نوعي الدعاء،دعاء الثناء والخير،ودعاء الطلب والمسألة، والأول: أشرف النوعين لأنه حق الرب ووصفه، والثاني : حظ العبد ومصلحته.

ولمّا كانت الصلاة أتم العبادات عبودية وأكملها شُرِع فيها النوعين وقدم الأول منهما لفضله ، ثم انتقل إلى النوع الثاني وهو دعاء الطلب والمسألة،فبدأ بأهمه وأجلّه وأنفعه له وهو طلب الصلاة من الله ـ تعالى ـ على رسوله ـ ﷺ ـ وهو من أجلِّ أدعية العبد وأنفعها له في دنياه وآخرته ، وفيه أيضاً أن الداعي جعله مقدمة بين يدي حاجته وطلبه لنفسه ، وقد أشار النبي ـ ﷺ ـ إلى هذا المعنى في قوله : « **إذا صلى أحدكم فليبدأ بتحميد الله ـ تعالى ـ والثناء عليه ثم ليصل على النبي، ثم ليدع بعد بما شاء** »(٢) ، فينتخب العبد من الدعاء أعجبه إليه وأنفعه له في دنياه وأخراه .

قال رسول الله ـ ﷺ ـ : « **إِذَا فَرَغَ أَحَدُكُمْ مِنَ التَّشَهُّدِ الآخِرِ فَلْيَتَعَوَّذْ بِاللَّه مِنْ أَرْبَعٍ ، مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ ، وَمِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ ، وَمِنْ شَرِّ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ** »(٣) ، وكان رَسُول اللَّه ـ ﷺ ـ يَدْعُو فِى الصَّلاَةِ « **اللَّهُمَّ إِنِّى أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ ،وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَفِتْنَةِ الْمَمَاتِ ، اللَّهُمَّ إِنِّى أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْمَأْثَمِ وَالْمَغْرَمِ** ، فَقَالَ لَهُ قَائِلٌ :مَا أَكْثَرَ مَا تَسْتَعِيذُ مِنَ الْمَغْرَمِ ، **فَقَالَ : إِنَّ الرَّجُلَ إِذَا غَرِمَ حَدَّثَ فَكَذَبَ ، وَوَعَدَ فَأَخْلَفَ** »(٤) ،و « **اللَّهُمَّ إِنِّى أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْكَسَلِ وَالْهَرَمِ ، وَالْمَأْثَمِ وَالْمَغْرَمِ ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْقَبْرِ وَعَذَابِ الْقَبْرِ ، وَمِنْ فِتْنَةِ النَّارِ وَعَذَابِ النَّارِ ، وَمِنْ شَرِّ فِتْنَةِ الْغِنَى ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْفَقْرِ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ ، اللَّهُمَّ اغْسِلْ عَنِّى خَطَايَاىَ بِمَاءِ الثَّلْجِ وَالْبَرَدِ ،وَنَقِّ قَلْبِى مِنَ الْخَطَايَا** ،

(١) أحمد.
(٢) صحيح الجامع .
(٣) مسلم.
(٤) متفق عليه

كَمَا نَقَّيْتَ الثَّوْبَ الأَبْيَضَ مِنَ الدَّنَسِ ، وَبَاعِدْ بَيْنِي وَبَيْنَ خَطَايَايَ كَمَا بَاعَدْتَ بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ »(١) ، و« اللهم حاسبني حساباً يسيراً »(٢) .

و« عَنْ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ ـ رضي الله عنه ـ أَنَّهُ قَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ ـ ﷺ ـ عَلِّمْنِي دُعَاءً أَدْعُو بِهِ فِي صَلاَتِي ، قَالَ : قُلِ اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْماً كَثِيراً وَلاَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ أَنْتَ ، فَاغْفِرْ لِي مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدِكَ ، وَارْحَمْنِي إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ »(٣) ، و« اللهم بعلمك الغيب وقدرتك على الخلق أحيني ما علمت الحياة خيراً لي ، وتوفني إذا علمت الوفاة خيراً لي ، اللهم وأسألك خشيتك في الغيب والشهادة ، وأسألك كلمة الإخلاص في الرضا والغضب ، وأسألك القصد في الفقر والغنى ، وأسألك نعيماً لا ينفد ، وأسألك قرة عين لا تنقطع ، وأسألك الرضا بالقضاء ، وأسألك برد العيش بعد الموت ، وأسألك لذة النظر إلى وجهك والشوق إلى لقائك في غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة ، اللهم زيِّنا بزينة الإيمان واجعلنا هداة مهتدين »(٤) ، و« اللهم إني أسالك من الخير كلِّه ،عاجله وآجله ، ما علمتُ منه وما لم أعلم ، وأعوذ بك من الشرِّ كلِّه عاجله وآجله ،ما علمتُ منه وما لم أعلم ، اللهم إني أسالك من خير ما سألك منه محمد عبدك ونبيك ، وأعوذ بك من شرِّ ما عاذ منه عبدك ونبيك ، اللهم إني أسالك الجنة وما قرَّب إليها من قول أو عمل ، وأعوذ بك من النار وما قرَّب إليها من قول أو عمل ، وأسالك ما قضيت لي من قضاء أن تجعل عاقبته رشداً »(٥) .

ثُمَّ يَكُونُ مِنْ آخِرِ مَا يَقُولُ بَيْنَ التَّشَهُّدِ وَالتَّسْلِيمِ : « اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ ، وَمَا أَسْرَفْتُ ، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي ، أَنْتَ الْمُقَدِّمُ وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ ، لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ »(٦) .

---

(١) البخاري . (٢) أحمد . (٣) متفق عليه .
(٤) صحيح الجامع. (٥) صحيح سُنن ابن ماجة. (٦) مسلم

ثم يختم الصلاة بالتسليم وهو التحليل لها يخرج به المصلى منها،فيدعو لنفسه ومن معه بالسلامة والرحمة والبركات من الله ـ تبارك وتعالى ـ ، فقد جعل الله ـ تبارك وتعالى ـ لكل عبادة تحليلاً منها ، فالتحليل من الحج مثلاً بالرمي وما بعده وكذلك التحليل من الصوم بالفطر بعد الغروب ، وجعل الله السلام تحليلاً من الصلاة،كما قال النبي ـ ﷺ ـ « ... **تحريمها التكبير وتحليلها التسليم** »(١) ، وتحريمها هنا هو بابها الذي يدخل منه إليها ، وتحليلها بابها الذي يخرج به منها .

فجعل **التكبير** باب الدخول **والتسليم** باب الخروج لحكمة بديعة بالغة ، فإنه لَمَّا كان المصلي قد تخلى عن الشواغل وقطع جميع العلائق وتطهر وأخذ زينته وتهيأ للدخول على الله ـ تعالى ـ ومناجاته ، شرع له أن يدخل على ربه دخول العبيد على الملوك ، فيدخل بالتعظيم والإجلال ، فشرع له أبلغ لفظ يدل على هذا المعنى وهو قول (الله أكبر) فإن في اللفظ من التعظيم والتخصيص والإطلاق في جانب المحذوف المجرور بما لا يوجد في غيره،ولهذا كان الصواب أن غير هذا اللفظ لا يقوم مقامه ولا يؤدي معناه ولا تنعقد الصلاة إلا به .

فالتكبير باب الصلاة الذي يدخل العبد على ربه منه،فإنه إذا استشعر بقلبه أن الله أكبر من كل ما يخطر بالبال استحيا منه أن يشغل قلبه في الصلاة بغيره؛ فلا يكون موفياً لمعنى (الله أكبر) ولا مؤدياً لحق هذا اللفظ ولا أتى البيت من بابه بل الباب عنه مسدود ، فقبيح بالعبد أن يقول بلسانه (**الله أكبر**) وقد امتلأ قلبه بغير الله فهو قبلة قلبه في الصلاة ، ولعله لا يحضر بين يدي ربه في شيء منها ، فلو قضى حق (الله أكبر) وأتى البيت من بابه لدخل وانصرف بأنواع التحف والخيرات ، فهذا الباب الذي يدخل منه المصلى وهو التحريم .

وأما الباب الذي يخرج منه فهو باب **السلام** المتضمن أحد الأسماء الحسنى، فيكون مفتتحاً لصلاته باسمه ـ تبارك وتعالى ـ ومختتماً لها باسمه،فيكون ذاكراً

---

(١) صحيح سُنن ابو داود.

لاسم ربه أول الصلاة وآخرها ، فأولها باسمه وآخرها باسمه،فدخل فيها باسمه وخرج منها باسمه مع ما في اسم السلام من الخاصية والحكمة المناسبة لانصراف المصلي من بين يدي الله تعالى ، فإن المصلي ما دام في صلاته بين يدي ربه فهو في حماه الذي لا يستطيع أحد أن يخفره بل هو في حماه من جميع الآفات والشرور،فإذا انصرف من بين يديه تبارك وتعالى ابتدرته الآفات والبلايا والمحن وتعرضت له من كل جانب،وجاءه الشيطان بمصائده وجنده فهو متعرض لأنواع البلايا والمحن، فإذا انصرف من بين يدي الله مصحوباً بالسلام لم يزل عليه حافظ من الله إلى وقت الصلاة الأخرى وكان من تمام النعمة عليه أن يكون انصرافه من بين يدي ربه بسلام يستصحبه ويدوم له ويبقى معه .

فإذا صلى ما كتب الله له جلس مطرقاً بين يدي ربه هيبة له وإجلالاً، واستغفره استغفار من قد تيقن أنه هالك إن لم يغفر له ويرحمه ، معتذراً إليه من أي غفلة حصلت له في صلاته ، بل من تقصيره في حق ربه وإن أدَّاها على أتم وجه وبمنتهي الخشوع ، سبحانه ما عبدناه حق عبادته ، قال الله ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿ وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ [الذاريات :١٨]، فيبقي على حال الاستغفار هذا مع شهوده تقصيره في حق مولاه ، ومع استغفاره لنفسه يستغفر لأبويه وأهله جميعاً بل وللمسلمين جميعاً والمسلمات،الأحياء منهم والأموات ، ويدعو مولاه بخيري الدنيا والآخرة ، وبالفردوس الأعلى ، والقرب من ربه ومولاه في هذا الوقت الطيب المبارك الذي « **يَنْزِلُ اللَّهُ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا كُلَّ لَيْلَةٍ حِينَ يَمْضِي ثُلُثُ اللَّيْلِ الأَوَّلُ، فَيَقُولُ :أَنَا الْمَلِكُ، أَنَا الْمَلِكُ، مَنْ ذَا الَّذِي يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ ، مَنْ ذَا الَّذِي يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، مَنْ ذَا الَّذِي يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ ، فَلاَ يَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّى يُضِيءَ الْفَجْرُ** » (١) .

فإذا أذنَّ المؤذن لصلاة الفجر ردَّد الآذان ، ثم يأتي **بالأذكار** بعد كل آذان

---

(١) متفق عليه.

ومنها « **أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، رَضِيتُ بِاللَّهِ رَبًّا ، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولاً ، وَبِالإِسْلاَمِ دِيناً ...** »، وفى رواية أخرى : « **وَأَنَا أَشْهَدُ ...** »[١]، ثم يصلي على النبي ـ ﷺ ـ ويقول : « **اللَّهُمَّ رَبَّ هَذِهِ الدَّعْوَةِ التَّامَّةِ وَالصَّلاَةِ الْقَائِمَةِ آتِ مُحَمَّداً الْوَسِيلَةَ وَالْفَضِيلَةَ وَابْعَثْهُ مَقَاماً مَحْمُوداً الَّذِى وَعَدْتَهُ ...** »[٢] ، ثم يدعو لنفسه وأهله ولمن يحب وللمسلمين والمسلمات بما يحب فالوقت بين الأذان والإقامة وقت إجابة لا يُرَدُّ فيه الدعاء ، ويكثر من سؤاله مولاه العفو والعافية والمعافاة في الدنيا والآخرة ، كما أوصانا خليل الرحمن ـ محمد ـ ﷺ ـ .

ثم يخرج إلى المسجد آتياً بكل أذكار الخروج من المنزل ، وأذكار المشي إلى المسجد ودخوله مستحضراً كل النيات التي ذكرناها في المشي إلى المسجد في مقدمة الكتاب[٣] ، فيسبق إلي الصف الأول عن يمين الإمام فيصلي معه خاشعاً لربه مستحضراً كل المعاني التي ذكرناها في الصلاة وفى الركوع والسجود ؛ **وقبل السلام** يدعو ربه ويبتهل إليه راجياً منه خيري الدنيا والآخرة له ولأهله خاصة، وللمسلمين عامة .

ثم بعد السلام **يستغفر** ربه ثلاثاً ، ثم يأتي بالأذكار الواردة عن سيد ولد آدم ـ محمد ـ ﷺ ـ ومنها « **... اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام** »[٤] ، و« **اللهم أعني على ذكرك وشكرك ، وحُسن عبادتك** »[٥] ، و« **اللَّهُمَّ إِنِّى أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْجُبْنِ ، وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ أُرَدَّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الدُّنْيَا ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ** »[٦]، و« **اللهم إني أسألك علماً نافعاً ، ورزقاً طيباً ، وعملاً متقبلاً** »[٧] ، ويقول بعد صلاة

---

(١) مسلم . (٢) البخاري . (٣) صفحة رقم ١٢ ، ١٣ .
(٤) صحيح الجامع. (٥) صحيح سنن أبو داود . (٦) البخاري .
(٧) صحيح سُنن ابن ماجه.

الفجر والمغرب خاصة وهو ثاني رجليه قبل أن يتكلم : « **لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك ، وله الحمد ، بيده الخير ، يحي ويميت ، وهو على كل شيء قدير ، عشر مرات** »(١) ، ويسال الله أن يجيره من عذاب النار سبعاً بعد صلاة الفجر خاصة بقوله : « **اللهم أجرني من النار**»، وبعد المغرب خاصة يقول : « **اللهم إني أسألك الجنة اللهم أجرني من النار ـ سبع مرات ـ** »(٢) ،ويقول : « **لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ ، لَهُ الْمُلْكُ ، وَلَهُ الْحَمْدُ ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ، اللَّهُمَّ لاَ مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ ، وَلاَ مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ ، وَلاَ يَنْفَعُ ذَا الْجَدِّ مِنْكَ الْجَدُّ** »(٣) .

ثم يقرا آية الكرسي والمعوذات متدبراً كل ما فيهم من معاني ، ثم « **يسبح ربه ثلاثاً وثلاثين ، ويحمده ثلاثاً وثلاثين ، و يكبره ثلاثاً وثلاثين ، ثم يقول تمام المائة ـ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** »(٤) ، يقول كل ذلك وهو حاضر الذهن مشاهد لمعاني كل ما يذكر به ربه ومولاه ـ جلَّ وعلا ـ ، ثم يجوز له أن يدعو ربه بعد هذه الأذكار أيضاً بأي دعاء شاء .

ثم يشرع في ذكر الله بما صح من الأذكار الواردة في هذا الوقت عن من أوتى جوامع الكلم محمد ـ ﷺ ـ والذي أُمرنا أن نقتدي به وحده ونأخذ عنه شرع ربنا لنا ، فلا يقدم عليها قول شيخه ولا أستاذه ولا غيره . . .

قال رسول الله ـ ﷺ ـ : « **من صلى عليَّ حين يصبح عشراً وحين يمسي عشراً أدركته شفاعتي يوم القيامة** »(٥)، و« **مَنْ قَالَ حِينَ يُصْبِحُ وَحِينَ يُمْسِي سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ مِائَةَ مَرَّةٍ . لَمْ يَأْتِ أَحَدٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِأَفْضَلَ مِمَّا جَاءَ بِهِ**

---

(١) أحمد .
(٢) أبو داود والنسائي .
(٣) متفق عليه.
(٤) مسلم.
(٥) صحيح الجامع.

إلاَّ أحدٌ قال مثلَ ما قال أو زاد عليه »(١)، وكان نبيُّ الله ـ ﷺ ـ إذا أمسى قال: « أَمْسَيْنَا وأَمْسَى الْمُلْكُ للّه ، والحَمْدُ للّه، لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ، رَبِّ أَسْأَلُكَ خَيْرَ مَا فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ وَخَيْرَ مَا بَعْدَهَا ،وأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ وَشَرِّ مَا بَعْدَهَا ، رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْكَسَلِ وَسُوءِ الْكِبَرِ ، رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابٍ فِي النَّارِ وَعَذَابٍ فِي الْقَبْرِ » ، وَإِذَا أَصْبَحَ قَالَ ذَلِكَ أَيْضاً : « أَصْبَحْنَا وأَصبَحَ الْمُلْكُ للّه... »(٢) ، و« عن عبد الله بن خبيب عن أبيه ـ رضي الله عنه ـ أنه قال : قال رسول الله ـ ﷺ ـ قل ، فلم أقل شيئاً ، ثم قال : قل ، فلم أقل شيئاً ، ثم قال : قل ، قلت يا رسول الله ما أقول ، قال :﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ﴾ ـ والمعوذتين ـ حين تصبح وحين تمسي ثلاث مرات تكفيك من كل شيء »(٣) .

و« سَيِّدُ الاسْتِغْفارِ أَنْ يقُولَ العبدُ : اللَّهُمَّ أَنتَ رَبِّي لا إِلَه إِلاَّ أَنْتَ خَلَقْتَني وأَنَا عَبْدُكَ وأَنَا على عهْدِكَ ووعْدِكَ ما اسْتَطَعْتُ ،أَعُوذُ بكَ مِنْ شَرِّ ما صَنَعْتُ ، أَبوءُ لَكَ بنعْمتكَ عليَ ،وأَبوءُ بذَنْبي ،فَاغْفِرْ لي ،فإِنَّهُ لا يغْفرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ أَنْتَ ، منْ قَالَهَا مِنَ النَّهَارِ مُوقناً بِهَا فَمَاتَ مِنْ يومِهِ قَبْلَ أَنْ يُمْسِيَ فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الجنَّة ، ومَنْ قَالَهَا مِنَ اللَّيْلِ وهُو مُوقِنٌ بها فَمَاتَ قبل أَنْ يُصْبِحَ فهُو مِنْ أَهْلِ الجنَّة»(٤)، «ما من عبد يقول في صباح كل يوم ومساء كل ليلة :بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم ، ثلاث مرات ، فلم يضره شيء »(٥) ،و« أمرنا رسول الله ـ ﷺ ـ أن نقول إذا أصبحنا وإذا أمسينا وإذا اضطجعنا على فرشنا : اللهم فاطر السماوات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت رب كل شيء ،والملائكة يشهدون أنك لا إله إلا أنت ، فإنا نعوذ بك من شر أنفسنا ومن شر الشيطان الرجيم وشركه ، وأن نقترف

(١) (٢) مسلم . (٣) صحيح الترغيب والترهيب .
(٤) البخاري. (٥) صحيح الجامع .

على أنفسنا سوءاً أو نجره إلى مسلم »[١] .

ولم يكن رسول الله ـ ﷺ ـ يَدَع هؤلاء الدعوات حين يمسي وحين يصبح « اللهم إني أسألك العفو والعافية في الدنيا والآخرة اللهم إني أسألك العفو والعافية في ديني ودنياي وأهلي ومالي اللهم استر عوراتي وآمن روعاتي واحفظني من بين يدي ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي ومن فوقي ، وأعوذ بك أن أغتال من تحتي »[٢] ، قال وكيع يعني الخسف ، وقال أيضاً : « إذا أصبحتم فقولوا :اللهم بك أصبحنا وبك أمسينا وبك نحيا وبك نموت وإليك النشور ، وإذا أمسيتم فقولوا : اللهم بك أمسينا وبك أصبحنا وبك نحيا وبك نموت وإليك المصير »[٣] ،وأرشدنا أيضاً لنقول: «اللهم عافني في بدني اللهم عافني في سمعي اللهم عافني في بصري لا إله إلا أنت ، حين تمسي وحين تصبح ثلاثاً ، واللهم إني أعوذ بك من الكفر والفقر اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر ، لا إله إلا أنت ، تعيدها حين تمسي وحين تصبح ثلاثاً »[٤] ،وقال أيضاً : « من قال إذا أصبح : رضيت بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد نبياً ؛ فأنا الزعيم لآخذن بيده حتى أدخله الجنة »[٥] .

وكان يقول أيضاً : « ... سُبْحَانَ اللَّه وَبِحَمْدِه عَدَدَ خَلْقِه ،وَرِضَا نَفْسِه ،وَزِنَةَ عَرْشِه ،وَمِدَادَ كَلِمَاتِه »[٦] ، و جاء رجل من أصحاب رسول الله ـ ﷺ ـ فقال : يا رسول الله لدغت الليلة فلم أنم حتى أصبحت ، قال : ماذا ، قال : عقرب ، قال : أما إنك لو قلت حين أمسيت :أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق لم تضرك إن شاء الله »[٧] ، وكان رسول الله ـ ﷺ ـ « إذا أصبح وإذا أمسى قال : أصبحنا على فطرة الإسلام وكلمة الإخلاص ودين نبينا محمد وملة أبينا

---

(١) السلسلة الصحيحة.
(٢) صحيح سنن ابن ماجة .
(٣) السلسلة الصحيحة.
(٤) صحيح الأدب المفرد .
(٥) السلسلة الصحيحة.
(٦) مسلم.
(٧) صحيح سنن أبي داود.

إبراهيم حنيفًا مسلماً وما كان من المشركين » (١).

وأوصى رسول الله ـ ﷺ ـ ابنته فاطمة ـ رضي الله عنها ـ أن تقول كل صباح ومساء : **« يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث أصلح لي شأني كله ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين »** (٢) .

و**« من قال : اللهم إني أُشهدك ، وأشهد ملائكتك ، وحملة عرشك ، وأشهد من في السماوات ومن في الأرض ، أنك أنت الله لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك ، وأشهد أن محمداً عبدك ورسولك ، من قالها مرة اعتق الله ثلثه من النار ، ومن قالها مرتين أعتق الله ثلثيه من النار ، ومن قالها ثلاثاً أعتق الله كله من النار »** (٣) .

و**« من قال : سبحان الله ـ مائة مرة ـ قبل طلوع الشمس وقبل غروبها كان أفضل من مائة بدنة ، ومن قال : الحمد لله ـ مائة مرة ـ قبل طلوع الشمس وقبل غروبها كان أفضل من مائة فرس يحمل عليها في سبيل الله، ومن قال : الله أكبر ـ مائة مرة ـ قبل طلوع الشمس وقبل غروبها كان أفضل من عتق مائة رقبة، ومن قال :لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ـ مائة مرة ـ قبل طلوع الشمس وقبل غروبها لم يجيء يوم القيامة أحد بعمل أفضل من عمله إلا من قال مثل قوله أو زاد عليه »** (٤).

و« عن أم هانيء ـ رضي الله عنها ـ قالت : مر بي رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ ذات يوم ، فقلت : يا رسول الله قد كبرت سني وضعفت ـ أو كما قالت ـ فمرني بعمل أعمله وأنا جالسة ، **قال : سبحي الله مائة تسبيحة فإنها تعدل لك مائة رقبة تعتقينها من ولد إسماعيل ، واحمدي الله مائة تحميدة فإنها تعدل لك مائة فرس مسرجة ملجمة تحملين عليها في سبيل الله ، وكبري الله**

---

(١) صحيح الجامع.
(٢) الحاكم وصححه .
(٣) البخاري .
(٤) صحيح الجامع .

مائة تكبيرة فإنها تعدل لك مائة بدنة مقلدة متقبلة ، وهللي الله مائة تهليلة تملأ ما بين السماء والأرض ، ولا يرفع يومئذ لأحد عمل أفضل مما يرفع لك إلا أن يأتي بمثل ما أتيت » (١) .

ومَنْ قَالَ : **« لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ، فِي يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ ، كَانَتْ لَهُ عَدْلَ عَشْرِ رِقَابٍ ، وَكُتِبَتْ لَهُ مِائَةُ حَسَنَةٍ ، وَمُحِيتْ عَنْهُ مِائَةُ سَيِّئَةٍ ، وَكَانَتْ لَهُ حِرْزًا مِنَ الشَّيْطَانِ يَوْمَهُ ذَلِكَ حَتَّى يُمْسِيَ ، وَلَمْ يَأْتِ أَحَدٌ بِأَفْضَلَ مِمَّا جَاءَ بِهِ إِلاَّ أَحَدٌ عَمِلَ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ »** (٢) .

ولنعلم ـ إخواني الكرام ـ أن هذا الوقت وقت مبارك، حتى إن رسول الله ـ صلي الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ قال : **« لأن أقعد مع قوم يذكرون الله ـ تعالى ـ من صلاة الغداة حتى تطلع الشمس أحب إلي من أن أعتق أربعة من ولد إسماعيل ، ولأن أقعد مع قوم يذكرون الله من صلاة العصر إلى أن تغرب الشمس أحب إلي من أن أعتق أربعة »** (٣) .

ثم يقدم على كتاب ربه فيقرأ ورده مناجياً ربه خاشعاً مستمعاً بإنصات لأوامر ربه له ، متأدباً بقلبه وجوارحه حتى تشرق الشمس ، فقد **« كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ـ ﷺ ـ لاَ يَقُومُ مِنْ مُصَلاَّهُ الَّذِى يُصَلِّى فِيهِ الصُّبْحَ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ فَإِذَا طَلَعَتْ قَامَ ... »** (٤) ، فيصلي الضحى ثم يرجع إلي بيته فإما أن ينام ساعة قبل أن يذهب إلى عمله ، وإما أن يقرأ ورده من تفسير كتاب الله ـ عشر آيات يومياً من مختصر تفسير ابن كثير للشيخ محمد نسيب الرفاعى أو للشيخ أحمد شاكر ـ رحمهم الله جميعاً ـ ثم يذهب إلى عمله .

ثم يذهب متضرعاً إلى ربه سائلاً له أن يكون ضامناً عليه متصرفاً في مرضاته

---

(١) مسلم
(٢) صحيح سنن ابى داود.
(٣) الحاكم وصححه .
(٤) مسلم.

بقية يومه ، قال رسول الله ـ ﷺ ـ: « **إذا خرجت من منزلك فصلِّ ركعتين تمنعانك مخرج السوء ، وإذا دخلت إلى منزلك فصلِّ ركعتين تمنعانك مدخل السوء** »(١) ، فلا ينقلب إلا في شيء يظهر له فيه مرضاة ربه ، وإن كان من الأفعال العادية الطبيعية قلبه عبادة بالنية وقصد الاستعانة به على مرضاة الرب ؛ **وبالجملة** فيقف عند أول الداعي إلى فعله فيفتش ويستخرج منه منفذاً ومسلكاً يسلك به إلى ربه فينقلب في حقه عبادة وقربة ، وكلما كثرت طاعاته كثرت توبته واستغفاره .

وفي عمله ينوى أنه مرابط في سبيل الله في تخصصه،واقف على ثغر من ثغور المسلمين ـ لا يُؤتي المسلمون من قبله ـ فيتقن عمله على أحسن وجه وأتمه وأكمله، **ويقضي فيه حوائج الناس ما استطاع راجياً بذلك ثواب ربه فقط لا لأي قصد آخر،** حتى شكر الناس له،كما كانت تفعل الصدِّيقة بنت الصديق ـ أم المؤمنين عائشة بنت أبى بكر ـ رضي الله عنهما ـ آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر بالحكمة والموعظة الحسنة، وإن اضطر إلى الجدال فبالتي هي أحسن، داعياً إلي ربه بالقول وبالفعل جميعاً ، لا يخالف فعله قوله، يحبب الناس في ربهم وفي رسولهم وفي دينهم.

فإذا اقترب وقت صلاة الظهر استعد لها قبل الآذان بحوالي عشر أو خمس عشرة دقيقة ليشرع في تطهير باطنه وظاهره ، **أما باطنه** فبترك كل ما في يده حتى لا يشوش عليه صلاته ، فيجمع كل همه وإقباله على صلاته ، فقد قال أبو الدرداء ـ رضي الله عنه ـ: من فقه الرجل أن يبدأ حاجته قبل دخوله في الصلاة ليدخل فيها وقلبه فارغ،ومنه « **لاَ صَلاَةَ بِحَضْرَةِ الطَّعَامِ وَلاَ هُوَ يُدَافِعُهُ الأَخْبَثَانِ** »(٢) ، **وأما ظاهره** فبإسباغ الوضوء على جوارحه ، فيتوضأ ثم يتلو ما تيسر له من كلام ربه خاشعاً ،فإذا أذن المؤذن بأن (الله اكبر) ترك كل ما في يده من كل شيء كبير إلى ربه الأكبر ، مُلبياً نداء الفلاح،فهذه أم المؤمنين عائشة ـ رضي الله عنها ـ تصف

(١) صحيح الجامع . (٢) مسلم .

حال رسول الله ـ ﷺ ـ وقت سماعه الأذان فتقول : كان يحدثنا ونحدثه فإذا حضرت الصلاة فكأنه لا يعرفنا ولا نعرفه .

وكان إبراهيم بن ميمون المروزى ـ رحمه الله ـ وكان صائغاً يطرق الذهب والفضة،فإذا سمع النداء وكان رافعاً مطرقته لم يردها .

فيذهب إلى المسجد داعياً كل من معه في العمل ومن في طريقه للصلاة جماعه في المسجد قاصداً بكل ذلك إصلاح نفسه ومن حوله جميعاً لسعادته وسعادتهم دنيا وأخرى ، ولإقامة الخلافة الراشدة على منهاج النبوة لصلاح المسلمين كل المسلمين ـ بل لصلاح العالم أجمع ـ مشفقاً على من يتهاون في أمر الصلاة ولا يجيب داعي الفلاح ، فعن عبد الله بن عمرو بن العاص ـ رضي الله عنهما ـ عن النبي ـ ﷺ ـ أنه ذكر الصلاة يوماً فقال : **من حافظ عليها كانت له نوراً وبرهاناً ونجاة يوم القيامة ، ومن لم يحافظ عليها لم يكن له نور ولا برهان ولا نجاة ، وكان يوم القيامة مع قارون وفرعون وهامان وأبي بن خلف** »[١] .

وربما سبب حشر تارك الصلاة مع هؤلاء الأربعة لأنه إما أن يشتغل بماله عن الصلاة فيحشر مع قارون ، وإما بملكه فيحشر مع فرعون ، وإما بوزارته فيحشر مع هامان ، وإما بتجارته فيحشر مع أميَّة بن خلف تاجر الكفار بمكة [٢] .

فما أنقص عقل من باع مرافقة الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين بمرافقة الذين غضب الله عليهم ولعنهم وأعدَّ لهم جهنم وساءت مصيرا [٣] .

ويصلى السُّنَّة القبلية ركعتان وإن شاء أربعاً ثم ينتظر في سكينه حتى يقام للصلاة ، فإذا أقيمت كان في الصف الأول على يمين الإمام ، ثم يأتي بها على أحسن وجه وأتمه خاشعاً متضرعاً متملقاً لربه مصلياً صلاة مودع للدنيا ، لا يدري أيصلي بعدها أم يموت ، مستحضراً لجميع المعاني التي ذكرناها في الصلاة

(١) أحمد . (٢) الصلاة وحكم تاركها . (٣) لماذا نصلى .

من قبل ، ثم بعد فراغه من صلاته ودعائه وذكر ربه ، يُذكر الناس في كلمة قصيرة موجزة بربهم ويعلمهم فيها أمور دينهم وما يجب عليهم تجاه ربهم ودينهم وأمتهم الإسلامية من أقصاها إلى أقصاها ، ثم يصلي السُّنَّة البعديه ثم يعود إلى عمله مرة أخرى أنشط من ذي قبل ، فقد كان بين يدي ربه يناجيه ويتضرع إليه فما أسعده وما أنشطه .

ثم بعد أن ينتهي من عمله يرجع إلي بيته فيتناول طعامه ناوياً فيه التقوَّى على طاعة ربه غير مسرف ـ فإن الله لا يحب المسرفين ـ مسمياً باسم ربه الأعظم قبل كل لقمه وشربه ، حامداً إياه بعد كل لقمه وشربه ـ فيأخذ من ربه عظيم الأجر ، وليعطى نفسه فرصة أطول لمضغ الطعام وبالتالي الانتفاع به على أحسن وجه ، محسناً إلى أهله وولده ، قال رسول الله ـ ﷺ : « **إذا أعطى الله أحدكم خيراً فليبدأ بنفسه وأهل بيته** »(١) ، و« سُئلت أم المؤمنين عائشة ـ رضي الله عنها ـ مَا كَانَ النَّبِيُّ ـ ﷺ ـ يَصْنَعُ فِي بَيْتِهِ **قَالَتْ : كَانَ يَكُونُ فِي مِهْنَةِ أَهْلِهِ** ـ تَعْنِي خِدْمَةَ أَهْلِهِ ـ **فَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ خَرَجَ إِلَى الصَّلَاةِ أو فَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ قَامَ إِلَى الصَّلَاةِ** »(٢) ومُعَلماً إياهم كتاب الله وسُنَّة نبيه ومربياً لهم على ذلك مبتغياً في ذلك وجه ربه ـ تبارك وتعالى ـ فالنساء والأولاد والمال بجميع أنواعه متاع الحياة الدنيا ، قال الله ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿ **زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ ﴿١٤﴾** ﴾ [آل عمران : ١٤] ، **والمتاع** هو كل ما يتمتع وينتفع به من نساء وأولاد ومال وطعام وشراب ثم يذهب ويفنى ، فكل هؤلاء **كزاد فقط للمسافر وليسو غاية**،فالغاية هي رضا الله تبارك وتعالى ـ والقرب منه في جنته ورضوانه ، فإذا تيقن العبد من ذلك لم يتعلق بشيء سوى ربه ومولاه ، ولم يقصد في جميع أعماله غيره ، والله ـ جلَّ وعلا ـ بفضله يلحق

(١) صحيح الجامع. (٢) البخاري.

أهله وولده معه في منزلته في الجنة .

ثم يعود إلى مثل فعله وحاله في صلاة العصر والمغرب والعشاء ، ويكثر من نوافل الصلوات في بيته سواءً منها ما هو مرتبط بالصلوات المفروضات أو مطلق النوافل عساها أن تكون سبباً لمرافقة حبيبه خليل الرحمن ـ محمد ـ ﷺ ـ كما في الحديث « **فَأَعِنِّي عَلَى نَفْسِكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ** »[١]، وقد كان الإمام أحمد ابن حنبل ـ رحمه الله ـ يصلي في اليوم أكثر من مائة وخمسين ركعة[٢]،**فإذا** كان يوم الجمعة اغتسل ولبس أحسن ثيابه وتطيب وبكّر إلى المسجد ماشياً محتسباً كل خطوة مجتهداً أن يكون أقرب إنسان إلى الإمام ولا يسبقه أحد ليكون أقرب إلى ربه يوم القيامة فـ « **إن الناس يجلسون يوم القيامة من الله ـ تعالى ـ على قدر رواحهم إلى الجمعات ، الأول ، ثم الثاني ، ثم الثالث ، ثم الرابع ...** »[٣]، وليُكتب له « **... بكل خطوة عمل سَنة ، أجر صيامها وقيامها** »[٤].

ومن فضل الله على عباده أن جعل الطريق إليه واحدة جامعة لكل ما يرضيه ـ تبارك وتعالى ـ وما يرضيه متعدد متنوع ، وذلك لتنوع الاستعدادات واختلافها عند بني البشر ، رحمة من الله وفضلاً على عباده لاختلاف الأذهان والعقول وقوة الاستعدادات عندهم ، فجميع ما يرضيه طريقه واحد ومراضيه متعددة متنوعة بحسب الأزمان والأماكن والأشخاص والأحوال وكلها طرق مرضاته ، ولما اختلفت الاستعدادات تنوعت الطرق ليسلك كل امرىء إلى ربه طريقاً يقتضيها استعداده وقوته وقبوله .

وإذا عُلم هذا ، فمن الناس من يكون سيد عمله وطريقه الذي يعد سلوكه إلى الله **طريق العلم والتعليم** ، قد وفر عليه زمانه مبتغياً به وجه الله،فلا يزال كذلك عاكفاً على طريق العلم والتعليم حتى يصل من تلك الطريق إلى الله ويفتح له

---

(١) مسلم
(٢) صفة الصفوة
(٣) بن ماجة وابن عاصم ، واسنادهما حسن .
(٤) صحيح الترغيب والترهيب .

فيها الفتح الخاص أو يموت في طريق طلبه ، فيرجى له الوصول إلى مطلبه بعد مماته ، قال الله ـ تبارك تعالى ـ: ﴿ **وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَن يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ** ﴾ [النساء: ١٠٠] ، فإن العبد يموت على ما عاش عليه .

ومن الناس من يكون سيد عمله **الذكر** وقد جعله زاده لمعاده ورأس ماله لمآله، فمتى فتر عنه أو قصر رأى أنه قد غبن وخسر ، ومن الناس من يكون سيد عمله وطريقه **الصلاة** فمتى قصر في ورده منها أو مضى عليه وقت وهو غير مشغول بها أو مستعد لها أظلم عليه وقته وضاق صدره ، ومن الناس من يكون طريقه **الإحسان والنفع المتعدي** كقضاء الحاجات وتفريج الكربات وإغاثة اللهفات وأنواع الصدقات قد فتح له في هذا وسلك منه طريقاً إلى ربه ، ومن الناس من يكون طريقه **الصوم** فهو متى أفطر تغير قلبه وساءت حاله ، ومن الناس من يكون طريقه **تلاوة القرآن** وهي الغالب على أوقاته وهي أعظم أوراده ، ومنهم من يكون **طريقه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر** قد فتح الله له فيه ونفذ منه إلى ربه ، ومنهم من يكون طريقه الذي نفذ فيه **الحج والاعتمار**، ومنهم من يكون **طريقه قطع العلائق وتجريد الهمة ودوام المراقبة** ومراعاة الخواطر وحفظ الأوقات أن تذهب ضائعة .

ومنهم جامع المنفذ السالك إلى الله في كل واد، الواصل إليه من كل طريق ، فهو قد جعل وظائف عبوديته قبلة قلبه ونصب عينه يؤمها أين كانت ويسير معها حيث سارت ـ قد ضرب مع كل فريق بسهم ـ فأين كانت العبودية وجدته هناك ، إن كان **علم** وجدته مع أهله ، أو **جهاد** وجدته في صف المجاهدين ، أو **صلاة** وجدته في القانتين ، أو **ذكر** وجدته في الذاكرين، أو **إحسان** ونفع وجدته في زمرة المحسنين ، أو **محبة ومراقبة** وإنابة إلى الله وجدته في زمرة المحبين المنيبين ، يدين بدين العبودية أنى استقلت ركائبها،ويتوجه إليها حيث استقرت

مضاربها،لو قيل ما تريد من الأعمال لقال :**أريد أن أنفذ أوامر ربي حيث كانت ، وأين كانت جالبة ما جلبت مقتضية ما اقتضت جمعتني أو فرقتني ليس لي مراد إلا تنفيذها والقيام بأدائها ، مراقباً له فيها عاكفاً عليه بالروح والقلب والبدن والسر ، قد سلمت إليه المبيع منتظراً منه تسليم الثمن فـ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ ﴾** [التوبة : ١١١] ، متمثلاً في قول رسول الله ﷺ : « ... **إنْ كَانَ فِي الحِرَاسَةِ كَانَ فِي الحِرَاسَةِ،وإنْ كَانَ فِي السَّاقَةِ كَانَ فِي السَّاقَةِ ...**» (١) فهذا هو العبد السالك إلى ربه المتصل به قلبه ، والمتعلق به تعلق المحب التام المحبة بمحبوبه فيسلو به عن جميع المطالب سواه ، فليس في قلبه إلا محبة الله وأمره وطلب القرب إليه ، فإذا سلك العبد على هذا الطريق عطف عليه ربه فقربه واصطفاه وأخذ بقلبه إليه وتولاه في جميع أموره في معاشه ودينه ، وتولي تربيته أحسن وأبلغ مما يربي الوالد الشفيق ولده .

فإنه لَمّا كان الله ـ سبحانه وتعالى ـ القيوم المقيم لكل شيء من المخلوقات طائعها وعاصيها ، فكيف تكون قيوميته بمن أحبه وتولاه وآثره على ما سواه ورضي به من دون الناس حبيباً ورباً ووكيلاً وناصراً ومعيناً وهادياً ، فلو كشف الغطاء عن ألطافه وبره وصنعه له من حيث يعلم ومن حيث لا يعلم لذاب قلبه محبة له وشوقاً إليه ويقع شكراً له ، ولكن حجب القلوب عن مشاهدة ذلك إخلادها إلى عالم الشهوات والتعلق بالأسباب فصدت عن كمال نعيمها وذلك تقدير العزيز العليم ، وإلا فأي قلب يذوق حلاوة معرفة الله ومحبته ثم يركن إلى غيره ويسكن إلى ما سواه هذا ما لا يكون أبداً (٢) .

فأفضل العبادة العمل على مرضاة الله ـ جلَّ وعلا ـ في كل وقت بما هو مقتضى ذلك الوقت ووظيفته ، فأفضل العبادات في وقت الجهاد الجهاد وإن آل إلى ترك الأوراد من صلاة الليل وصيام النهار بل ومن ترك إتمام صلاة الفرض كما في حالة الأمن .

---

(١) البخاري . (٢) طريق الهجرتين .

■ **والأفضل** في وقت حضور الضيف مثلاً القيام بحقه والاشتغال به عن الورد المستحب وكذلك في أداء حق الزوجة والأهل .

■ **والأفضل** في أوقات السَّحر الاشتغال بالصلاة والقرآن والدعاء والذكر والاستغفار .

■ **والأفضل** في وقت استرشاد الطالب وتعليم الجاهل الإقبال على تعليمه والاشتغال به .

■ **والأفضل** في أوقات الأذان ترك ما هو فيه من ورده والاشتغال بإجابة المؤذن .

■ **والأفضل** في أوقات الصلوات الخمس الجد والنصح في إيقاعها على أكمل الوجوه والمبادرة إليها في أول الوقت والخروج إلى الجامع ، وإن بعد كان أفضل .

■ **والأفضل** في أوقات ضرورة المحتاج إلى المساعدة بالجاه أو البدن أو المال الاشتغال بمساعدته وإغاثة لهفته وإيثار ذلك على أورادك وخلوتك .

■ **والأفضل** في وقت قراءة القرآن جمعية القلب والهمة على تدبره وتفهمه حتى كأن الله تعالى يخاطبك به فتجمع قلبك على فهمه وتدبره والعزم على تنفيذ أوامره أعظم من جمعية قلب من جاءه كتاب من السلطان على ذلك .

■ **والأفضل** في وقت الوقوف بعرفة الاجتهاد في التضرع والدعاء والذكر دون الصوم المضعف عن ذلك .

■ **والأفضل** في أيام عشر ذي الحجة الإكثار من التعبد لا سيما رفع الصوت بالتلبية والتكبير والتهليل والتحميد ، فهو أفضل من الجهاد غير المتعين .

■ **والأفضل** في العشر الأخير من رمضان لزوم المسجد فيه والخلوة والاعتكاف دون التصدي لمخالطة الناس والاشتغال بهم حتى إنه أفضل من الإقبال على تعليمهم العلم وإقرائهم القرآن عند كثير من العلماء.

■ **والأفضل** في وقت مرض أخيك المسلم أو موته عيادته وحضور جنازته وتشييعه وتقديم ذلك على خلوتك وجمعيتك.

■ **والأفضل** في وقت نزول النوازل وأذى الناس لك ، أداء واجب الصبر مع خلطتك بهم دون الهرب منهم ، فإن المؤمن الذي يخالط الناس ليصبر على أذاهم أفضل من الذي لا يخالطهم ولا يؤذونه ، والأفضل خلطتهم في الخير فهي خير من اعتزالهم فيه ، واعتزالهم في الشر فهو أفضل من خلطتهم فيه ، فإن علم أنه إذا خالطهم أزاله أو قللهُ فخلطتهم حينئذ أفضل من اعتزالهم ، **فالأفضل في كل وقت وحال إيثار مرضاة الله في ذلك الوقت والحال والاشتغال بواجب ذلك الوقت ووظيفته ومقتضاه** .

فغرض العبد في تعبده تتبع مرضاة الله ـ تعالى ـ أينما كانت ، لا تتبع عبادة بعينها يؤثرها على غيرها ، فلا يزال متنقلاً في منازل العبودية، كلما رفعت له منزلة عمل على سيره إليها واشتغل بها حتى تلوح له منزلة أخرى ، فهذا دأبه في السير حتى ينتهي سيره ، فهذا هو **العبد المطلق** الذي لم تملكه الرسوم ولم تقيده القيود ولم يكن عمله على مراد نفسه وما فيه لذتها وراحتها من العبادات ـ **بل هو على مراد ربه** ـ ولو كانت راحة نفسه ولذتها في سواه ، فهذا هو المتحقق بـ ﴿ **إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ** ﴾ حقاً ، القائم بهما صدقاً، ملبسه ما تهيأ، وماكله ما تيسر، واشتغاله بما أمر الله به في كل وقت بوقته، ومجلسه حيث انتهى به المكان ووجده خالياً ،لا تملكه إشارة ولا يتعبده قيد ولا يستولي عليه رسم،حر مجرد دائر مع الأمر حيث دار،يدين بدين الآمر أني توجهت ركائبه ويدور معه حيث استقلت مضاربه،يأنس به كل محق ويستوحش منه كل مبطل،كالغيث حيث وقع نفع ، وكالنخلة لا يسقط ورقها وكلها منفعة حتى شوكها وهو موضع الغلظة منه على المخالفين لأمر الله والغضب إذا انتهكت محارم الله ـ **فهو لله وبالله ومع الله** ـ قد صحب الله بلا خلق وصحب الناس بلا نفس، بل إذا كان مع الله عزل الخلائق عن البين وتخلى عنهم،وإذا كان مع خلقه عزل نفسه من الوسط وتخلى عنها ، فواها له ما أغربه بين الناس وما أشد وحشته منهم ، وما

أعظم أنسه بالله وفرحه به وطمأنينته وسكونه إليه ، والله المستعان وعليه التكلان[١] .

وعند التزاحم وتعذر عمل اثنين من أعمال البر في وقت واحد يُقدَّم الأفضل على المفضول ، والراجح على المرجوح،والأهم على المهم، والأحب على المحبوب ، هذا في أعمال البر غير الواجبة ، أما في الواجبة : فالواجب مقدَّم على المندوب وعلى ما ليس بواجب ، وفرض العين مقدَّم على فرض الكفاية ، وفرض الكفاية الذي لم يقم به أحد أو عدد يكفي مقدَّم على فرض الكفاية الذي قام به مَن يكفي ويسد الثغرة ، وفرض العين المتعلق بالجماعة والأمة مقدَّم على فرض العين المتعلق بحقوق الأفراد ، والواجب المحدد الوقت ، والذي جاء وقته بالفعل ، مقدَّم على الواجب الموَّسع في وقته .

والمصالح الضرورية مقدَّمة على الحاجية والتحسينية، والمصالح الحاجية مقدَّمة على التحسينية، والمصالح المتعلقة بمصالح الأمة وحاجاتها أولى بالرعاية من المصالح المتعلقة بالأفراد عند التعارض، ففي حالة الجهاد مثلاً فترك الصوم للتَقَوى على الجهاد أولى من الصوم ، وصيام النافلة إن كان يضعف البدن حتى يعجز عما هو أفضل منه من القيام بحقوق الله ـ تبارك وتعالى ـ مثل الصلاة وذكر الله وعن العلم فالإقلال منه أولى ، فقراءة القرءان أفضل من صيام النافلة ،وكذلك تعلم العلم النافع وتعليمه أفضل من صيام النافلة و.....وهكذا[٢]، فـ« **الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً ، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيمَانِ** »[٣] .

ومن ذاق شيئاً من ذلك وعرف طريقاً موصلة إلى الله ثم تركها وأقبل على إرادته وراحاته وشهواته ولذاته وقع في آثار المعاطب وأودع قلبه سجون المضايق

---

(١) مدارج السالكين.

(٢) في فقه الأولويات ، أولويات الحركة الإسلامية في المرحلة القادمة ـ بتصرف.

(٣) متفق عليه .

وعذب في حياته عذاباً لم يعذب به أحد من العالمين ، فحياته عجز وغم وحزن ، وموته كدر وحسرة، ومعاده أسف وندامة، قد فرط عليه أمره وشتت عليه شمله، وأحضر نفسه الغموم والأحزان ، فلا لذة الجاهلين ولا راحة العارفين ، يستغيث فلا يغاث،ويشتكي فلا يشكى ، فقد ترحلت أفراحه وسروره مدبرة وأقبلت آلامه وأحزانه وحسراته ، فقد أبدل بأنسه وحشة ، وبعزه ذلاً ، وبغناه فقراً ، وبجمعيته تشتيتاً ، وأبعد فلم يظفر بقرب،وأبدل مكان الأنس إيحاشاً ، ذلك بأنه عرف طريقه إلى الله ثم تركها ناكباً عنها مكباً على وجهه ، فابصر ثم عمي وعرف ثم أنكر،وأقبل ثم أدبر ودعي فما أجاب،وفتح له فولى ظهره الباب ، قد ترك طريق مولاه وأقبل بكليته على هواه،فلو نال بعض حظوظه وتلذذ براحاته وشؤونه فهو مقيد القلب عن انطلاقه في فسيح التوحيد وميادين الأنس ورياض المحبة وموائد القرب، قد انحط بسبب إعراضه عن إلهه الحق إلى أسفل سافلين[1].

ثم هو في كل وقت في جهاد ؛ **فمرة** يجاهد نفسه وهواه في طلب مرضاة الله ـ عز وجلَّ ـ لتستقيم على أمره ـ جلَّ وعلا ـ ، ولتعلم الهدى والعمل به وتعليمه للناس ، وأفضل العلوم العلم بالله ـ تبارك وتعالى ـ بذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله الحسنى ، ثم العلم بشرعه ـ عز وجلَّ ـ المُنَزَّل في قرآنه العزيز وسُنَّة نبيه محمد ﷺ ـ ثم العلم بالفروض الكفائية مع مراعاة ربطها التام بالله تبارك وتعالى ـ وإظهار قدرته ـ عز وجلَّ ـ وحكمته وعجائب صنعه، ليتوصل للخشية من الله ليصبح المرء عالماً حقاً ؛ **ومرة** يجاهد شيطانه ـ لعنه الله ـ **ومرة** يجاهد الفساق والظالمين والمنافقين من شياطين الإنس آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر ؛ **ومرة** يجاهد الكفار بلسانه وبماله وبنفسه لعله ينشر دين ربه فينتشر العدل والرحمة في العالم بأسره، ويكلل الله جهاده هذا باتخاذه شهيداً فيموت أفضل ميتة وأخفها ألماً لتكون سبباً في بلوغه الفردوس الأعلى والقرب من ربه ومولاه ـ جلَّ وعلا ـ .

---

(١) طريق الهجرتين.

وهو في كل وقت أيضاً ومع كل الناس حسن الخلق متخلقاً بأخلاق القرآن، وإن بدر منه أي خلق لا يصح بادر بالتوبة إلى ربه مجتهداً في إصلاح عيبه مستعيناً في ذلك بربه ومولاه ـ جلَّ وعلا ـ معتذراً إلى من أخطا في حقه ، ويبر بوالديه ويصل رحمه بالزيارة وبالإنفاق وبقضاء الحوائج وبالدعاء ، وإن بعدت المسافات فلا أقل من صلة الرحم بالهاتف وبكل وسائل الاتصالات الحديثة فـ« **لَيْسَ الْواصِلُ بِالْمُكافِئ،وَلَكِنَّ الواصِلَ الَّذي إِذا قَطَعَتْ رَحِمُهُ وصلَها**» [١] ويحسن إلى أهله وأولاده وجيرانه وإخوانه ، متغاضياً ومتغافلاً عن هفواتهم ، ويعفو ويصفح عن زلاتهم ، ديدنه قول القائل :

وإذا الحبيب أتى بذَنْبٍ واحدٍ ... جاءت محاسنُه بألف شفيعِ

مبتغياً بذلك رضى ربه والقرب منه في جنته ـ جلَّ وعلا ـ والقرب من حبيب الرحمن ـ محمد ـ ﷺ ـ فـ« **إن المؤمن يدرك بحسن خلقه درجات قائم الليل صائم النهار**» [٢] ، و« **إِن مِنْ أَحَبِّكُم إِليَّ وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجلساً يَومَ القِيَامَةِ أَحَاسِنَكُم أَخلاقاً . .** » [٣] ، و« **أحب عباد الله إلى الله أحسنهم خلقاً** » [٤] .

ويؤثر قلة الخلطة ما استطاع ؛فامتلاء القلب من دخان أنفاس بني آدم يسوده ويوجب له تشتتاً وتفرقاً وهماً وغماً وضعفاً وحملاً لما يعجز عن حمله وإضاعة مصالحه والاشتغال عنها بهم وبأمورهم وتقسم فكره في أودية مطالبهم وإراداتهم فماذا يبقى منه لله والدار الآخرة ، هذا وكم جلبت خلطة الناس من نقمة، ودفعت من نعمة،وأنزلت من محنة وعطلت من منحة،وأحلت من رزية وأوقعت في بلية ـ **وهل آفة الناس إلا الناس** ـ فمن علامات حب العبد لله ـ عز وجلَّ ـ الزهد في الخلق غاية الزهد ، لأنه طالب للأنس بالله والقرب منه فهو أزهد شيء في الخلق ، إلا من أعانه على هذا المطلوب منهم وأوصله إليه، فهو أحب خلق الله إليه ، ولا يأنس من الخلق بغيره ولا يسكن إلا إلى سواه ، فعليك ـ أخي الكريم ـ

---

(١) البخاري. (٢)،(٣)،(٤) صحيح الجامع .

بطلب هذا الرفيق جهدك ، فإن لم تظفر به فاتخذ الله صاحباً ودع الناس كلهم جانباً ﴿ وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً ﴿٨﴾ ﴾ [المزمل : ٨] .

والضابط النافع في أمر الخلطة أن **يخالط** الناس في الخير كالجمعة والجماعة، والأعياد ، والحج ، وتعلم العلم ، والجهاد ، والدعوة لدين الله ـ تبارك وتعالى ـ ولإقامة الخلافة الراشدة المنشودة ، وللنصيحة لهم،**ويعتزلهم** في الشر وفضول المباحات، فإذا دعت الحاجة إلى خلطتهم في الشر ولم يمكنه اعتزالهم فالحذر الحذر من موافقتهم ، وليصبر على أذاهم ، فإنهم لا بد أن يؤذوه إن لم يكن له قوة ولا ناصر، ولكنه أذى يعقبه عز ومحبة له وتعظيم وثناء عليه منهم ومن المؤمنين ومن رب العالمين ، وموافقتهم يعقبها ذل وبغض له ومقت وذم منهم ومن المؤمنين ومن رب العالمين ، فالصبر على أذاهم خير وأحسن عاقبة وأحمد مآلاً .

وإن دعت الحاجة إلى خلطتهم في فضول المباحات فليجتهد أن يقلب ذلك المجلس طاعة لله إن أمكنه ويشجع نفسه ويقوي قلبه، ولا يلتفت إلى الوارد الشيطاني القاطع له عن ذلك بأن هذا رياء ومحبة لإظهار علمك وحالك ونحو ذلك فليحاربه وليستغن بالله ويؤثر فيهم من الخير ما أمكنه ، فإن أعجزته المقادير عن ذلك فليسل قلبه من بينهم كسل الشعرة من العجين ،وليكن فيهم حاضراً غائباً قريباً بعيداً نائماً يقظاناً ينظر إليهم ولا يبصرهم ويسمع كلامهم ولا يعيه ، لأنه قد سل قلبه وأخذه من بينهم ورقى به محبة صادقة لربه مكثر من ذكره والصلاة على نبيه محمد ـ ﷺ ـ بالقلب واللسان متمثلاً قول المحب :

ولقد جعلتك في الفؤاد محدّثي ... وأبحتُ جسمي من أراد جلوسي
فالجسمُ مني للجليس مؤانس ... وحبيب قلبي في الفؤاد أنيس

ومما يستأنس به في هذا الشأن أن الإمام أحمد بن حنبل ـ رحمه الله ـ كان أصبر الناس على الوحدة ويقول :هي أروح لقلبي ، ولم يره أحد إلا في مسجد أو حضور جنازة أو عيادة مريض ، وكانت مجالسته مجالسة الآخرة لا يذكر فيها

شيء من أمر الدنيا قط ، وكان يكره المشي في الأسواق،وكان يختم القرءان في سبعة أيام ، وكان يُسر بختمته .

وينبغي على العبد أن يخفي أحواله عن الخلق جهده ، كخشوعه وذله وانكساره وتعبده وقراءته للقرآن لئلا يراها الناس فيعجبه إطلاعهم عليها ورؤيتهم لها فيفسد عليه وقته وقلبه وحاله مع الله ، حتى عن زوجه وولده ما استطاع إلي ذلك سبيلاً فـ« **الجاهر بالقرآن كالجاهر بالصدقة ، والمسرُّ بالقرآن كالمسرُّ بالصدقة** »[١] ، وكم قد اقتطع في هذه المفازة من سالك،والمعصوم من عصمه الله ، فلا شيء أنفع للصادق من التحقق بالإخلاص لربه،والمسكنة والفاقة والذل له،وأنه لا شيء،وأنه ممن لم يصح له الإسلام بعد حتى يدَّعي الشرف فيه ، وكان شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ يقول كثيراً : ما لي شيء ولا مني شيء ولا في شيء ، وإذا أُثنى عليه في وجهه يقول : والله إني إلى الآن أجدد إسلامي كل وقت وما أسلمت بعد إسلاماً جيداً[٢] .

وهو في كل وقت وحين أيضاً يذكر ربه لا يفتر عن ذكره طرفة عين ، **فمرة** يذكره بأسمائه وصفاته وأفعاله والثناء عليه بها وتنزيهه عما لا يليق به ـ سبحانه وتعالى ـ وأفضله الذكر المضاعف مثل: « سبحان الله عدد خلقه ورضا نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته » والإكثار من شهادة التوحيد و... **ومرة** يذكره بالإخبار عنه بصفات كماله ـ سبحانه وتعالى ـ مع محبته والرضا به، ويكرر المحامد ثناءً على ربه ، واصفاً إياه بصفات الجلال والعظمة والكبرياء والملك، **ومرة** يذكره بذكر أمره تبارك وتعالى ونهيه وأحكامه وشرعه ويُعَلم الناس ذلك، **ومرة** يذكره بذكر آلاءه وإنعامه وإحسانه على عبيده ، **ومرة** يذكره بالإكثار من تلاوة كلامه ـ القرآن الكريم ـ يختمه في كل سبع ليال مرة،كما أوصى بذلك رسول الله ـ ﷺ ـ عبد الله بن عمرو بن العاص ـ رضي الله عنهما ـ « ...**وَاقْرَأْ فِي كُلِّ سَبْعِ لَيَالٍ مَرَّةً** »[٣] ،

---

(١) صحيح الجامع . (٢) مدارج السالكين ـ بتصرف . (٣) مسلم.

ويعمل بما فيه، راجياً بذلك أن يذكره ربه في نفسه ـ جلَّ وعلا ـ وفي الملأ الأعلى، وأن يكون من السابقين المقربين ومن أهل الله رب العالمين ، قال رسول الله ـ ﷺ : « **سبقَ المُفَرِّدُونَ** ، قالوا ومَا المُفَرِّدُونَ يا رسُول اللّه ؟، **قال : الذَّاكِرُونَ اللّه كَثيراً والذّاكِراتُ**» [١] ، وقال أيضاً :« **إن لله أهلين من الناس** ، قالوا: يا رسول الله من هم ، **قال هم أهل القرآن ، أهل الله وخاصته** » [٢] .

ومرة أخرى يذكره ـ جلَّ وعلا ـ بدعائه دعاء العبد الذليل الذي لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً ، ولاموتاً ولا حياة ولا نشوراً ، ودعاء المحب لمحبوبه الأعلى ـ جلَّ وعلا ـ سائله بفضله وجوده ومنته أن لا يطرده عن بابه أبداً ، بل يقربه من جنابه ـ عز وجلَّ ـ في الفردوس الأعلى ، وأن يملأ قلبه بحبه وحب حبيبه ـ **محمد** ـ ﷺ ـ ويجعل محبة أي شيء آخر تابعة لمحبته ـ جلَّ وعلا ـ وأن لا يشغله أبداً بذكر غيره بمباعدة كل سبب يحول بين القلب وبين الله عز وجلَّ .

فإنه لا نعيم ولا لذة ولا ابتهاج ولا كمال إلا بمعرفة الله ومحبته،والطمانينة بذكره،والفرح والابتهاج بقربه،والشوق إلى لقائه،فهذه هي جنة المؤمن العاجلة ، كما أنه لا نعيم له في الآخرة ولا فوز إلا بجوار الله في دار النعيم في الجنه الآجلة، فللعبد جنتان لا يدخل الثانية منهما إن لم يدخل الأولى ؛ قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ: إن في الدنيا جنة من لم يدخلها لم يدخل جنة الآخرة ، وقال أحد الصالحين : إنه ليمر بالقلب أوقات أقول : إن كان أهل الجنة في مثل هذا إنهم لفي عيش طيب .

وقال بعض المحبين : مساكين أهل الدنيا خرجوا منها وما ذاقوا أطيب ما فيها، قالوا : وما أطيب ما فيها، قال : محبة الله والأنس به، والشوق إلى لقائه ،والإقبال عليه ، والإعراض عما سواه ، والرضا عنه وبه ـ جلَّ وعلا ـ .

وهو في حياته وسيره إلى الله ـ جلَّ وعلا ـ لابد وأن يبتلى،وهذا الابتلاء **إما** أن يجريه الله ـ تبارك وتعالى ـ على عبده ابتداءً ، **وإما أن** يجريه من جهة الناس ،

(١) مسلم .
(٢) صحيح سنن ابن ماجه .

فأما ما يجريه الله ـ تبارك وتعالى ـ على عبده ابتداءً مثل التضييق عليه في الرزق ونقص الأموال والثمرات أو بالأمراض وموت الأحباب ، **فعليه في** كل الأحوال **الصبر بل الرضا بل الشكر** عليها ؛ فكل ذلك بتقدير الله العزيز الحكيم ـ وما كان من عند الحكيم فكله حكمة وخير للعبد إن هو صبر وشكر عليها ـ **فالابتلاء** جعله الله تبارك وتعالى بفضله سبب لتكفير ذنوب عبده في الدنيا فيقدم على ربه في الآخرة خالي من الذنوب ، وابتلاء الدنيا أهون بكثير من عذاب جهنم ، بل لا مقارنة أصلاً ، **وأيضاً** سبب لدخول الجنة ، **بل** دخولها بغير حساب ، في حين أن من نوقش الحساب عُذب .

بل أيضاً سبب لبلوغ العبد المنازل العالية في الجنة والتي ما كان ليبلغها بدون تقدير الابتلاء عليه ، بل أيضاً سبب لحب الله له،فالله يحب الصابرين و« **المرء مع من أحب** »(١) ،ومن لطف الله ـ تبارك وتعالى ـ العاجل بعبده وحبه له أنه قدَّر أن البلاء ينزل ومعه يسرين ـ **ولن يغلب عسر يسرين** ـ وقال رسول الله ـ ﷺ : « **إذا أصاب أحدكم مصيبة فليذكر مصيبته بي فإنها من أعظم المصائب** »(٢) ، وقال أيضاً : « **إذا مات ولد العبد قال الله تعالى لملائكته : قبضتم ولد عبدي ، فيقولون نعم ، فيقول : قبضتم ثمرة فؤاده ، فيقولون : نعم ، فيقول : ماذا قال عبدي ، فيقولون : حمدك واسترجع ، فيقول الله ـ تبارك وتعالى ـ : ابنوا لعبدي بيتاً في الجنة وسموه بيت الحمد** »(٣) .

فالعبد وولده وكل الناس ملك لله ـ تبارك وتعالى ـ وخلقاً له وعبيداً ، فله ـ سبحانه وتعالى ـ ما أعطى، وله ما أخذ فقد كانت عارية عند عبده تمتع بها دهراً ثم أخذها صاحبها ومولاه ليثيبه ـ إن صبر ـ بأعظم الثواب، وكل شيء عنده بمقدار، بل وبعد البلاء أيضاً يسراً ،لذلك ﴿ **فَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا** ﴾ [النساء:١٩] ، و« **مَا مِنْ عَبْدٍ تُصِيبُهُ مُصِيبَةٌ فَيَقُولُ : إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ اللَّهُمَّ أْجُرْنِى فِى مُصِيبَتِى وَأَخْلِفْ لِى خَيْراً مِنْهَا ،إِلاَّ أَجَرَهُ اللَّهُ فِى**

(١) متفق عليه . (٢) ، (٣) صحيح الجامع.

مُصيبَتهِ وأَخْلَفَ لَهُ خَيْراً منْهَا»(١)، فهل بعد كل هذا الفضل يتسخط العبد ويشكو ربه إلى خلقه!وقد كان هذا البلاء سبب لجميع مصالحه في العاجل والآجل وشوقه بها إلى ربه وزيادة في حب ربه له ورضوانه ، ومزيد فتح من الله على العبد لا يبلغه علمه ولا عمله ، فلو فطن العبد لشكره عليها كشكره على النعم ، فالله ـ تبارك وتعالى ـ أهل لكل حمد ولكل شكر بكل الجوارح على ذاته وصفاته وأفعاله وأسمائه الحسنى ـ سبحانه لا نحصى ثناءً عليه هو كما أثنى على نفسه ـ اللهم إنا نسألك العفو والعافية والمعافاة في الدين والدنيا والآخرة ، ونسألك لذة النظر إلى وجهك الكريم والشوق إلى لقاءك من غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة .

وأما إن كان الابتلاء من جهة الناس فعليه ، مع عزته بربه وبدينه ، الإحسان إلى المسيء وهو من أصعب الأمور على النفس وأشقها عليها ، ولا يوفق له إلا من عظم حظه من الله فيطفىء نار الحاسد والباغي والمؤذي بالإحسان إليه ، فكلما ازداد أذى وشراً وبغياً وحسداً ازددت إليه إحساناً ونصيحة وشفقة عليه ، قال الله ـ عز وجلَّ ـ : ﴿ **وَلا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ (٣٤) وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ (٣٥) وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٣٦)** ﴾ [فصلت : ٣٤-٣٦] ، وقال ـ جلَّ في علاه ـ : ﴿ **أُوْلَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ (٥٤)** ﴾ [القصص: ٥٤] ، ولو تأملنا حال النبي ـ ﷺ ـ وقد ضربه قومه حتى أدموه فجعل يَمْسَحُ الدَّمَ عَنْ وَجْهِه ، وَيَقُولُ : « **اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ** »(٢) ، فقد جمع في هذه الكلمات أربع مقامات من الإحسان، قابل بها إساءتهم العظيمة إليه ؛ عفوه عنهم ، واستغفاره لهم ، واعتذاره عنهم بأنهم لا يعلمون ، واستعطافه لهم بإضافتهم إليه، فقال : اغفر لقومي .

---

(١) مسلم .

(٢) متفق عليه .

ومما يسهل هذا على النفس ويطيبه إليها وينعمها به ، علم العبد أن له ذنوباً بينه وبين الله يخاف عواقبها ويرجوه أن يعفو عنها ويغفرها له ، فإذا كان العبد يرجو هذا من ربه وأن يقابل إساءته بالعفو والمغفرة بل وبكرمه وبجلب المنافع والإحسان فوق ما يؤمله به ، فما أولاك وأجدرك أيها العبد أن تعامل به خلقه وتقابل به إساءتهم ليعاملك الله هذه المعاملة ، فإن الجزاء من جنس العمل ، فكما تعمل مع الناس في إساءتهم في حقك يفعل الله معك في ذنوبك وإساءتك جزاءً وفاقاً ، فانتقم بعد ذلك أو اعف وأحسن أو اترك ، فكما تدين تدان،وكما تفعل مع عباده يفعل معك ، فمن تصور هذا المعنى وشُغل به فكره هان عليه الإحسان إلى من أساء إليه ، هذا مع ما يحصل له بذلك من نصر الله ومعيته الخاصة ، كما قال النبي ـ ﷺ ـ للذي شكى إليه قرابته وأنه يحسن إليهم وهم يسيئون إليه فقال : « ...**وَلاَ يَزَالُ مَعَكَ مِنَ اللَّهِ ظَهِيرٌ عَلَيْهِمْ مَا دُمْتَ عَلَى ذَلِكَ** »(١) ، هذا مع ما يتعجله من ثناء الناس عليه ويصيرون كلهم معه على خصمه .

فإن كل من سمع أنه محسن إلى ذلك الغير وهو مسيء إليه وجد قلبه ودعاءه وهمته مع المحسن على المسيء ، وذلك أمر فطري فطر الله عليه عباده ، فهو بهذا الإحسان قد استخدم عسكراً لا يعرفهم ولا يعرفونه ولا يريدون منه إقطاعاً ولا خبراً ، هذا مع أنه لا بد له مع عدوه وحاسده من إحدى حالتين : **إما** أن يملكه بإحسانه فيستعبده وينقاد له ويذل له ويبقى من أحب الناس إليه ، **وإما** أن يفتت كبده ويقطع دابره إن أقام على إساءته إليه ، فإنه يذيقه بإحسانه أضعاف ما ينال منه بانتقامه ، ومن جرَّب هذا عرفه حق المعرفة،والله هو الموفق والمعين، بيده الخير كله ، لا إله غيره .

ومن أعظم الأسباب وأهمها أيضاً تجريد التوحيد لله ـ عز وجلَّ ـ بالترحل بالفكر في الأسباب إلى المسبب وهو الله العزيز الحكيم ، والعلم بأن هذه آلات

---

(١) مسلم .

بمنزلة حركات الرياح وهي بيد محركها وفاطرها وبارئها ولا تضر ولا تنفع إلا بإذنه ، فهو الذي يبتلى عبده بها وهو الذي يصرفها عنه وحده لا أحد سواه ، قال الله ـ تبارك وتعالى ـ : ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ ﴾ [الأنعام :١٧] ، وقال النبي ﷺ لعبد الله بن عباس ـ رضي الله عنهما ـ « **واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك بشيء إلا قد كتبه الله عليك ، جفت الأقلام ورفعت الصحف** »(١) ، فإذا جرد العبد التوحيد فقد خرج من قلبه خوف ما سواه ، وكان عدوه أهون عليه من أن يخافه مع الله ـ تبارك وتعالى ـ بل يفرد الله بالمخافة ويخرج من قلبه اهتمامه بعدوه واشتغاله به وفكره فيه ، ويجرد لله المحبة والخشية والإنابة والتوكل والاشتغال به عن غيره ، فيرى أن إعماله فكره في أمر عدوه وخوفه منه واشتغاله به من نقص توحيده(٢) .

ثم هو مستقيم على عبادة ربه متنقل في منازل العبودية لمولاه الواحد الأحد ، فإذا كان يوم الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر من الشهر العربي صامه وحثَّ أهله وولده على الصيام معه ودعا الناس إلى ذلك « فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ـ رضي الله عنه ـ قَالَ: **أَوْصَانِي خَلِيلِي ـ ﷺ ـ بِثَلَاثٍ: صِيَامِ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ...** »(٣) ، وبوب البخاري على صيام هذه الأيام ، فقال :باب صِيَامِ أَيَّامِ الْبِيضِ ثَلَاثَ عَشْرَةَ وَأَرْبَعَ عَشْرَةَ وَخَمْسَ عَشْرَةَ ، فيصوم عن الطعام والشراب والنكاح الحلال ـ وبالتالي الصيام عن كل حرام من كلام أو سمع أو نظر أو مأكل أو ... أولى ـ وأعلى منه مع الصيام عن الحلال من الطعام والشراب والنكاح وعن كل حرام ؛ **الإمساك** عن كل ما سوى الله ـ تبارك وتعالى ـ والتفكر في عجائب صنعه وفي صفاته وأفعاله وإنعامه على جميع خلقه ،لينال تقوى الله ـ عز وجلَّ ـ بهذا الصيام ،

---

(١) صحيح الجامع . (٢) بدائع الفوائد . (٣) متفق عليه .

وبالتالي حب الله ـ عز وجل ـ « ... **وَمَا يزالُ عبدى يتقرَّبُ إليَّ بالنَّوافِلِ حتَّى أُحبَّهُ، فإذا أحْبَبْتُهُ كُنْتُ سمْعَهُ الَّذى يسْمَعُ به، وبصرهُ الَّذى يُبْصرُ به، ويده الَّتى يبطُشُ بهَا ورجلَهُ الَّتي يمْشي بهَا، وإنْ سألني لأُعطينَّهُ، ولَئن استعاذني لأُعيذنَّهُ، ومَا ترددْتُ عنْ شيْءٍ أنا فاعلُهُ ترددى عنْ نفسِ المُؤمنِ، يكْرهُ المَوْتَ وأنَا أكْرهُ مساءتَهُ**»(١)، و﴿ **إنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ** ﴾ [التوبة: ٤] و« **المَرْءُ مع مَنْ أَحَبَّ** »(٢).

وإن شاء الزيادة صام يوم الاثنين والخميس، لفعل رسول الله ـ ﷺ ـ وقوله: « **إن الأعمال ترفع يوم الاثنين والخميس فأحب أن يرفع عملي وأنا صائم** »(٣)، وإن شاء الزيادة أكثر من الصيام في شهر الله المحرم فـ « **أَفْضَلُ الصِّيَامِ بَعْدَ رَمَضَانَ شَهْرُ اللَّهِ الْمُحَرَّمُ ...** »(٤)، و « **وَسُئِلَ رسول الله ـ ﷺ ـ عَنْ صَوْمِ يَوْمِ عَاشُورَاءَ، فَقَالَ: يُكَفِّرُ السَّنَةَ الْمَاضِيَةَ** »(٥)، وإن شاء الزيادة صام شعبان كله إلا قليلاً، كما كان يفعل حبيبه سيد ولد آدم ـ محمد ـ ﷺ ـ « فعَنْ أَبِى سَلَمَةَ قَالَ: سَأَلْتُ عَائِشَةَ ـ رضي الله عنها ـ عَنْ صِيَامِ رَسُولِ اللَّهِ ـ ﷺ ـ قَالَتْ: **كَانَ يَصُومُ حَتَّى نَقُولَ قَدْ صَامَ، وَيُفْطِرُ حَتَّى نَقُولَ قَدْ أَفْطَرَ، وَلَمْ أَرَهُ صَائِماً مِنْ شَهْرٍ قَطُّ أَكْثَرَ مِنْ صِيَامِهِ مِنْ شَعْبَانَ، كَانَ يَصُومُ شَعْبَانَ كُلَّهُ، كَانَ يَصُومُ شَعْبَانَ إِلاَّ قَلِيلاً** »(٦)، فهو شهر غفلة وشهر ترفع فيه الأعمال إلى الله ـ تبارك وتعالى ـ وشهر كان رسول الله ـ ﷺ ـ يصوم أكثره، ويُنْوى فيه أيضاً الإستعداد لشهر رمضان المعظم بنزول القرآن الكريم فيه .

فإذا بلَّغه الله ـ تبارك وتعالى ـ بفضله وأخَّر أجله حتى **شهر رمضان** استقبله استقبال المحب لحبيبه ـ كيف لا وهو شهر المغفرة ومضاعفة الحسنات ـ بل شهر القرآن، كلام الحبيب ـ جلَّ وعلا ـ وكل ما يتعلق بالحبيب حبيب ـ فيترك العبد كل شيء ويتفرغ لقراءة القرآن وتدبر معانيه، فإن استطاع أن يختم القرآن في

---

(١) البخاري . (٢) متفق عليه . (٣) صحيح الجامع.

(٤)، (٥)، (٦) مسلم .

يومين على الأكثر فعل ، ويُذكر الناس بربهم وبدينهم دبر الصلوات المكتوبات في العمل وفى الشارع وفى المساجد في كلمة موجزة جامعة ، ويحسن إلى الناس ما استطاع « **فقد كَانَ رَسُولُ اللَّه ـ ﷺ ـ أَجْوَدَ النَّاسِ ، وَكَانَ أَجْوَدُ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ ، وَكَانَ يَلْقَاهُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ فَيُدَارِسُهُ الْقُرْآنَ ، فَلَرَسُولُ اللَّه ـ ﷺ ـ أَجْوَدُ بِالْخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ** »[١] فإذا جاءت العشر الأواخر اعتكف في مسجد جامع ، وعكف فيه بقلبه وجميع جوارحه على طاعة ربه ودعائه والتملق إليه والسهر بين يديه بالصلاة وقراءة القرآن والدعاء، منقطعاً في ذلك عن جميع الخلائق بما فيهم من معه في المسجد ، فإذا كان آخر الشهر اجتهد في دعاء ربه أن يتقبل منه ، فقد كان سلفنا الصالح يجتهدوا في العبادة غاية الاجتهاد، فإذا انتهوا وقع عليهم الهم أيقبل أم لا ، قال الله ـ تبارك وتعالى ـ : ﴿ **وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُولَٰئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ ﴿٦١﴾** ﴾ [الأنبياء: ٦٠-٦١] ، فيختمون الشهر بالاستغفار والتوبة ، **فالاستغفار** يُرقع ما تخرَّق من الصيام ، والاستغفار ختام الأعمال الصالحة كلها ، يطبع عليها ويكفر أي خلل وقع فيها ، ومن كان هذا شأنه لم يأت يوم العيد بما لا يُرضى ربه ، فإن كان ممن تقبل منه فليأت بأفعال الشاكرين من سائر القربات لرب العالمين ، وإن كان ممن لم يتقبل منه فليأت بأفعال الخائفين المستغفرين ، ولا يقنط من رحمة ربه الغفور الرحيم .

ثم إذا انتهى العيد بما فيه من سائر القربات إلى ربه من بر بالوالدين وصلة للأرحام والإنفاق في سبيل الله ـ تبارك وتعالى ـ أتبع رمضان بصيام « ... **سِتًّا مِنْ شَوَّالٍ ، كَانَ كَصِيَامِ الدَّهْرِ** »[٢] ، فإذا بلَّغه الله ـ تبارك وتعالى ـ بفضله وأخر أجله حتى شهر ذي الحجة صام التسع الأوُل كلها ، وتقرب إليه بسائر القرب فـ « **أفضل أيام الدنيا أيام العشر** »[٣] ، و« **ما من أيام العمل الصالح فيها**

(١) متفق عليه (٢) مسلم (٣) صحيح الجامع

أحب إلى الله من هذه الأيام ـ يعني أيام العشر ـ قالوا : يا رسول الله ، ولا الجهاد في سبيل الله ، **قال : ولا الجهاد في سبيل الله ، إلا رجل خرج بنفسه وماله فلم يرجع من ذلك بشيء** »(١) ،وروى بزيادة من وجه آخر : « **ولا ليالي أفضل من لياليهن**» ، لذلك كان النبي ـ ﷺ ـ : « **لا يدع صيام تسع ذي الحجة** » (٢) .

ويستحب كذلك في هذه الأيام سائر الأعمال الصالحة من كثرة ذكر الله وقراءة القرآن و. . . وإن كان موسراً أفطر معه غيره في صيامه ، وإن لم يكن موسراً تمنى لو أن معه من المال مثل أخيه الموسر ما يفطر به الصائمين ، وبذلك يتضاعف الأجر فـ« **من فطر صائماً كان له مثل أجره ، غير أنه لا ينقص من أجر الصائم شيئاً** » (٣) ،فيتخير الصائم التقي المجتهد في العبادة ليعظم ثوابه ، قال رسول الله ـ ﷺ ـ : « **لا تصاحب إلا مؤمناً ولا يأكل طعامك إلا تقي** » (٤) ، وإن شاء أفطر معه من يدعوه إلى الله ـ تبارك وتعالى ـ وإلى التمسك بدينه لإقامة المجتمع المسلم فالخلافة الراشدة « **فَوَاللَّهِ لأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلاً خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ** » (٥) ، كل ذلك لا يرجو من أي منهم جزاءً ولا شكوراً بل رجاؤه في ثواب ربه ورضاه عنه وقربه ، وإن دعا أي واحد منهم له يدعوا له بمثل ما دعا به وبقى أجره وثوابه كامل عند ربه ﴿ **إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلا شُكُورًا** ⑨ ﴾ [الإنسان : ٩] .

فإذا كان مستطيعاً لحج بيت الله الحرام بادر بالحج على أتم وجه وأكمله ، فماله الطيب الحلال يختار منه أطيبه وأحبه إليه لذلك ؛ فيتعلم أحكام الحج والعمرة ليأتي بهما على أحسن وجه وأتمه ، ويعلمهما كل من معه . . .في السيارة . . . في الباخرة أو الطائرة . . . في الحافلة . . . في السكن . . . حتى في المناسك ، يبتغى بذلك وجه ربه وعظيم ثوابه فـ« **الدال على الخير كفاعله** »(٦)، ويحسن

---

(١) صحيح سُنن ابن ماجة . (٢) صحيح سنن النسائي . (٣) ، (٤) صحيح الجامع.
(٥) متفق عليه. (٦) السلسلة الصحيحة .

إليهـ جميعاً بجميع أنواع البر من **إطعام الطعام ،وإفشاء السلام ،وطيب الكلام ومعاملتهم بحُسْنُ الخُلُقِ وبتحمل أذاهم** ، ويمتنع عن كل ما ينافى الحج المبرور من الرفث والفسوق والعصيان، ويكثر من الصلوات في المسجد الحرام والمسجد النبوي، ومن فعل الطاعات عموماً ، فإذا انتهي من حجه عاد إلى وطنه وأهله زاهداً في الدنيا مُزهداً أهله وكل الناس حوله فيها ،راغباً في الآخرة مرغباً فيها ، داعيًا إلى ربه ، تاركاً كل ما كان عليه من أي عمل لا يرضى الله ـ عز وجلَّ ـ ولا يرضى رسوله ـ ﷺ ـ مجتهداً في كل عمل صالح ، راجياً من الله ـ تبارك وتعالى ـ أن لا يكون هذا آخر عهده ببيته ، فإذا يسَّر الله له أول فرصة للحج مرة أخرى أو للاعتمار وخصوصاً في شهر رمضان بادر إليها فـ« **عُمْرَةً فِي رَمَضَانَ تَقْضِي حَجَّةً مَعِي** »[١].

وإن كان معه فضل مال أنفقه في كل وجوه الخير وأنفعها للمسلمين ، فينفق على الغزاة في سبيل الله في كل مكان في العالم وخصوصاً فلسطين ـ لتطهير بيت المقدس من دنس الصهاينة المجرمين ـ ويخلفهم في أهليهم ، ويسعى على الأرملة والمسكين واليتيم بماله وجهده ويسعى في تأديبه وإصلاحه ، وعلى طالب العلم النابغة المجد ليكون وسيلة لحفظ الدين بل ونشره في الآفاق ، وعلى الأقرب رحماً والأشد حاجة و... وإن لم يكن معه فضل مال أنفق ما تيسر له ولو شق تمرة فـ« **رب درهم سبق مائة ألف درهم ...** »[٢] ، ويتمنى أن لو كان معه مثل أخيه الموسر من مال فينفقه في كل وجوه القرب إلى الله ـ تبارك وتعالى ـ والنفع والخير للمسلمين متكافلاً معهم جميعاً .

ومن شأن القوم ترك الاهتمام بالتدبير والاختيار ، بل همهم كله في إقامة حق الله عليهم ، وأما التدبير العام والخاص فقد سلموه لولي الأمر كله ومالكه الفعَّال لما يريد ، يرضى بما رضي الله به ويسكن عند مجاري أقداره ، فهو عبد ضعيف مسكين يتعاطى الربوبية ، فقير مسكين في مجموع حالاته مع ربه ، فهو

---

(١) البخاري. (٢) صحيح سنن النسائي.

يرى ناصيته ونواصي الخلائق بيد الله ـ سبحانه وتعالى ـ يخفضها ويرفعها كيف يشاء ، وقلوبهم بيده ـ سبحانه ـ وفي قبضته ، يقلبها كيف يشاء، يزيغ منها من يشاء ويقيم من يشاء ، وهذا هو الغالب على شهود قلبه ، فيغيب به عن مشيئاته وإرادته واختياره،ويعلم أن التدبير والركون إلى حول العبد وقوته من الجهل بنفسه وبربه، فينفي العلم بالله الجهل عن قلبه فتمحي منه الإرادات والمشيئات والتدبيرات ويفوضها إلى مالك القلوب والنواصي ، فيصير بذلك عبداً لربه تقلبه يد القدرة ويصير ابن وقته لا ينتظر وقتاً آخر يدبر فيه نفسه لأن ذلك الوقت بيد مولاه ـ جلَّ وعلا ـ .

وهو لا يعيب إلا ما عابه الله ولا يذم إلا ما ذمه،وإذا سبق إلى قلبه ولسانه عيب ما لم يعبه الله،وذم ما لم يذمه الله تاب إلى الله منه كما يتوب صاحب الذنب من ذنبه،فإنه يستحي من الله أن يكون في داره وهو يعيب آلات تلك الدار وما فيها، فهو يرى نفسه بمنزلة رجل دخل إلى دار ملك من الملوك ورأى ما فيها من الآلات والبناء والترتيب فأقبل يعيب منها بعضها ويذمه ويقول لو كان كذا بدل كذا لكان خيراً ولو كان هذا في مكان هذا لكان أولى ، وشاهد الملك يولي ويعزل ويحرم ويعطي فجعل يقول لو ولي هذا مكان فلان كان خيراً ولو عزل هذا المتولي لكان أولى ، ولو عوفي هذا ولو أغنى هذا !... فكيف يكون مقت الملك لهذا المعترض وإخراجه له من قربه ، **والمقصود** أن ما شان القوم ترك الاهتمام بالتدبير والاختيار بل همهم كله في إقامة حق ربهم ومولاهم عليهم ، وأما التدبير العام والخاص فقد سلموه لولي الأمر كله ومالكه الفعال لما يريد .

فيرى نفسه بمنزلة ميت في قبره ينتظر ما يفعل به مستسلم لله منقطع المشيئة والاختيار ، هذا ما يجري على أحدهم من فعل الله وحكمه **وقضائه الكوني** ، فإذا جاء **الأمر الشرعي** جاءت إرادته واختياره وجدّه وسعيه واستفرغ فكره وبذل جهده لتنفيذ أمر مولاه وسيده ، فهو قوي حي فعال يشاهد عبوديته لمولاه في

أمره فيتحرك فيه بظاهره وباطنه ، وهو مع ذلك مستعين بربه قائم بحوله وقوته ملاحظ لضعفه وعجزه قد تحقق بمعنى﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾، فهو ناظر بقلبه إلى مراد مولاه الذي حركه مستعين به في أن يوفقه لما يحبه ويرضاه ،عينه في كل لحظة شاخصة إلى حقه المتوجه عليه لربه ليؤديه في وقته على أكمل أحواله(١) .

والله ـ سبحانه وتعالى ـ إذا رقى عبده بالتدريج نوَّر باطنه وعقله بالعلم فرأى أنه لا خالق سواه ولا رب غيره، ولا يملك الضر والنفع والعطاء والمنع غيره، وأنه لا يستحق أن يعبد بنهاية الخضوع والحب سواه، وكل معبود سوى وجهه الكريم باطل، **وهذا توحيد العلم**، ثم إذا ثبت في هذا المقام رقاه الحق ـ سبحانه وتعالى ـ درجة أخرى فوق هذه يشهده فيها عود المفعولات إلى أفعاله ـ سبحانه ـ ، وعود **أفعاله إلى أسمائه وصفاته وقيام صفاته بذاته، فيضمحل شهود غيره من قلبه** وجحد أن يكون لسواه من نفسه شيء ألبتة ، ثم إذا ثبت في هذا المقام رقاه درجة أخرى أشهده قيام العوالم كلها،جواهرها وأعراضها ذواتها وصفاتها به وحده، أي بإقامته لها وإمساكه لها فإنه ـ سبحانه ـ يمسك السماوات والأرض أن تزولا، ويمسك البحار أن تغيض أو تفيض على العالم ويمسك السماء أن تقع على الأرض، ويمسك الطير في الهواء صافات ويقبضن، ويمسك القلوب الموقنة أن تزيغ عن الإيمان، ويمسك حياة الحيوان أن تفارقه إلى الأجل المحدود،ويمسك على الموجودات وجودها، ولولا ذلك لاضمحلت وتلاشت، فالكل قائم بأفعاله وصفاته التي هي من لوازم ذاته ، فليس الوجود الحقيقي إلا له،أعني الوجود الذي هو مستغن فيه عن كل ما سواه، وكل ما سواه فقير إليه بالذات لا قيام له بنفسه طرفة عين.

وإذا أقبل العبد على ربه وتفقد أحواله وتمكن **من شهود قيام ربه عليه** فإنه يكون في أول أمره مكابداً وصابراً ومرابطاً ، فإذا صبر وصابر ورابط ، صبر في نفسه وصابر عدوه ورابط على ثغر قلبه أن يدخل فيه خاطر لا يحبه وليه الحق ،

---

(١) طريق الهجرتين ، بتصرف .

ظهر حينئذ في قلبه نور من إقباله على ربه فإذا قوي ذلك النور غيبه عن وجوده الذهني وسري به في مطاوي الغيب،فحينئذ يصفو له إقباله على ربه ، فإذا صفا له ذلك غاب عن وجوده العيني والذهني،فغاب بنور إقباله على ربه بوصول خالص الذكر وصافيه إلى قلبه حيث خلا من كل شاغل من الوجود العيني والذهني **وصار واحداً لواحد ـ عبداً لربه ومولاه ـ** ، فيستولي نور المراقبة على أجزاء باطنه فيمتلئ قلبه من نور التوجه بحيث يغمر قلبه ويستره عما سواه،ثم يسري ذلك النور من باطنه فيعم أجزاء ظاهره فيتشابه الظاهر والباطن فيه ، وحينئذ يفنى العبد عن حب وقصد ما سواه ، فيبقى همه ملاحظة مراضي الرب ـ سبحانه وتعالى ـ ،ومحابه وحقه على عبده ويترك التدبير والاختيار ويفوض جميع أموره لربه ، ويقوم عقله بملاحظة أسرار حكمة الله في خلقه وأمره **ولا يحجبه ذلك كله** عن ملاحظة عبوديته،فيبقى مغمور الروح بملاحظة الأحدية وجلالها وكمالها وجمالها، قد استغرقته محبته والشوق إليه معمور القلب بعبادات القلوب، معمور القلب بملاحظة الحكمة ومعاني الخطاب،طاهر القلب عن سفساف الأخلاق مع الله تعالى،ومع الخلق ، قد صار عبداً محضاً لربه بروحه وقلبه وعقله ونفسه وبدنه وجوارحه، قد قام كلٌ بما عليه من العبودية،بحيث لا تحجبه عبودية بعضه عن عبودية البعض الآخر، قد فني عن نفسه وبقي بربه،فإن تكلم فبالله، وإن نطق فعن الله ، وإن عمل فبأمر الله ، وإن سكن فمع الله ، **فهو لله وبالله ومع الله** .

وجماع الأمر في ذلك إنما هو بتكميل عبودية الله في الظاهر والباطن ، فتكون حركات نفسه وجسمه كلها في محبوبات الله ، وكمال عبودية العبد موافقته لربه في محبته ما أحبه وبذل الجهد في فعله ، وموافقته في كراهة ما كرهه وبذل الجهد في تركه ، وهذا إنما يكون للنفس المطمئنة لا للأمارة ولا للوامة ، وهذا **كمال من جهة الإرادة والعمل ، وأما من جهة العلم والمعرفة** فأن تكون بصيرته منفتحة في معرفة الأسماء والصفات والأفعال ، له شهود خاص فيها مطابق لما

جاء به الرسول ﷺ لا مخالف له فإن بحسب مخالفته له في ذلك يقع الانحراف ويكون مع ذلك قائمًا بأحكام العبودية الخاصة التي تقتضيها كل صفة بخصوصها، **وهذا سلوك الأكياس** الذين هم خلاصة العالم ، والسالكون على هذا الدرب أفراد من العالم ، فالسير إلى الله ـ تبارك وتعالى ـ من طريق الأسماء والصفات شأنه عجب وفتحه عجب ، صاحبه قد سيقت له السعادة وهو مستلق على فراشه غير تعب ولا مكدود ولا مشتت عن وطنه ولا مشرد عن سكنه .

وبالجملة : فقلب المحب دائمًا في سفر لا ينقضي نحو محبوبه،كلما قطع مرحلة له ومنزلة تبدت له أخرى ، فهو مسافر بين أهله،وظاعن وهو في داره، وغريب وهو بين إخوانه وعشيرته،ويرى كل أحد عنده ولا يرى نفسه عند أحد ، فقوة تعلق المحب بمحبوبه توجب له أن لا يستقر قلبه دون الوصول إليه ، وكلما هدأت حركاته وقلت شواغله اجتمعت عليه شئون قلبه وقوى سيره إلى محبوبه، **ومحك هذا الحال يظهر في مواطن أربعة :**

أحدها : عند أخذ مضجعه وتفرغ حواسه وجوارحه من الشواغل واجتماع قلبه على ما يحبه فإنه لا ينام إلا على ذكر من يحبه وشغل قلبه به .

الموطن الثاني : عند انتباهه من النوم، فأول شيء يسبق إلى قلبه ذكر محبوبه، فإنه إذا استيقظ وُردَّت إليه روحه رَدَّ معها إليه ذكر محبوبه الذي كان قد غاب عنه في النوم ولكن كان قد خالط روحه وقلبه .

الموطن الثالث: عند دخوله في الصلاة، فإنها محك الأحوال وميزان الإيمان،بها يوزن إيمان الرجل ويتحقق حاله ومقامه ومقدار قربه من الله ونصيبه منه،فإنها محل المناجاة والقربة ولا واسطة فيها بين العبد وبين ربه،فلا شيء أقر لعين المحب ولا ألذ لقلبه ولا أنعم لعيشه منها إذا كان محباً، فإنه لا شيء آثر عند المحب ولا أطيب له من خلوته بمحبوبه ومناجاته له ومثوله بين يديه وقد أقبل محبوبه عليه وكان قبل ذلك معذَّباً بمقاساة الأغيار ومواصلة الخلق والاشتغال بهم،فإذا قام إلى

الصلاة هرب من سوى الله إليه،وآوى عنده واطمأن بذكره وقرت عينه بالمثول بين يديه ومناجاته،فلا شيء أهم إليه من الصلاة كأنه في سجن وضيق وغم حتى تحضر الصلاة فيجد قلبه قد انفسح وانشرح واستراح ، كما قال النبي ﷺ لبلال: « **يا بلال أرحنا بالصلاة**» ولم يقل أرحنا منها كما يقول المبطلون الغافلون .

فالصلاة قرة عيون المحبين،وسرور أرواحهم،ولذة قلوبهم،وبهجة نفوسهم ، يحملون همَّ الفراغ منها إذا دخلوا فيها كما يحمل الفارغ البطَّال همها حتى يقضيها بسرعة ، ومن كان قرة عينه في الصلاة فلا شيء أحب إليه ولا أنعم عنده منها ، ويود أن لو قطع عمره بها غير مشتغل بغيرها وإنما يسلي نفسه إذا فارقها بأنه سيعود إليها عن قرب ، فهو دائما يثوب إليها ولا يقضي منها وطراً ؛ فلا يزن العبد إيمانه ومحبته لله بمثل ميزان الصلاة فإنها الميزان العادل الذي وزنه غيرعائل .

الموطن الرابع : عند الشدائد والأهوال ؛ فإن القلب في هذا الموطن لا يذكر إلا أحب الأشياء إليه ولا يهرب إلا إلى محبوبه الأعظم عنده ولهذا كانوا يفتخرون بذكرهم من يحبونهم عند الحرب واللقاء ، وهو كثير في أشعارهم .

كما قال :

ولقد ذكرتك والرماح كأنها أشطان بئر في لبان الأدهم

والسر في هذا ـ والله أعلم ـ أنه عند المصائب والشدائد والأهوال يشتد خوف القلب من فوات أحب الأشياء إليه وهي حياته التي لم يكن يؤثرها إلا لقربه من محبوبه،فهو إنما يحب حياته لتنعمه بمحبوبه فإذا خاف فوتها بدر إلى قلبه ذكر المحبوب الذي يفوت بفوات حياته،ولهذا والله أعلم كثيراً ما يعرض للعبد عند موته لهجه بما يحبه وكثرة ذكره له وربما خرجت روحه وهو يلهج به ، وأيضاً فإنه عند الموت تنقطع شواغله وتبطل حواسه فيظهر ما في القلب ويقوى سلطانه فيبدو ما فيه من غير حاجب ولا مدافع ، فمن كان مشغولاً بالله وبذكره ومحبته في حال حياته وجد ذلك أحوج ما هو إليه عند خروج روحه إلى الله ، ومن كان

مشغولاً بغيره في حال حياته وصحته فيعسر عليه اشتغاله بالله وحضوره معه عند الموت ما لم تدركه عناية من ربه ، ولأجل هذا كان جديراً بالعاقل أن يلزم قلبه ولسانه ذكر الله حيثما كان لأجل تلك اللحظة التي إن فاتت شقي شقاوة الأبد ، فنسأل الله أن يعيننا على ذكره وشكره وحُسن عبادته [١] .

فإذا خلى القلب من الاهتمام بالدنيا والتعلق بما فيها من مال أو رياسة أو صورة وتعلق بالآخرة والاهتمام بها من تحصيل العدة والتأهب للقدوم على الله ـ عز وجلَّ ـ فذلك أول فتوحه وتباشير فجره ، فعند ذلك يتحرك قلبه لمعرفة ما يرضى به ربه منه فيفعله ويتقرب به إليه وما يسخطه منه فيجتنبه ، فيأنس بربه ويستوحش من الخلق ، **ثم يفتح له باب حلاوة العبادة** بحيث لا يكاد يشبع منها ويجد فيها من اللذة والراحة أضعاف ما كان يجده في لذة اللهو واللعب ونيل الشهوات، بحيث إنه إذا دخل في الصلاة ودَّ أن لا يخرج منها ، **ثم يفتح له باب حلاوة استماع كلام الله** فلا يشبع منه،وإذا سمعه هدأ قلبه به كما يهدأ الصبي إذا أعطي ما هو شديد المحبة له، **ثم يفتح له باب شهود عظمة الله المتكلم** به وجلاله وكمال نعوته وصفاته وحكمته ومعاني خطابه بحيث يستغرق قلبه في ذلك حتى يغيب فيه ويحس بقلبه وقد دخل في عالم آخر غير ما الناس فيه ، **ثم يفتح له باب الحياء من الله وهو أول شواهد المعرفة** وهو نور يقع في القلب يريه ذلك النور أنه واقف بين يدي ربه ـ عز وجلَّ ـ فيستحي منه في خلواته وجلواته ويرزق عند ذلك دوام المراقبة للرقيب ودوام التطلع إلى حضرة العلي الأعلى حتى كأنه يراه ويشاهده فوق سمواته مستوياً على عرشه ناظراً إلى خلقه سامعاً لأصواتهم مشاهداً لبواطنهم .

فإذا استولى عليه هذا الشاهد غطى عليه كثيراً من الهموم بالدنيا وما فيها ، فهو في وجود والناس في وجود آخر ، هو في وجود بين يدي ربه ووليه ناظراً إليه

---

(١) طريق الهجرتين .

بقلبه والناس في حجاب عالم الشهادة في الدنيا ، **ثم يفتح له باب الشعور بمشهد القيومية** فيرى سائر التقلبات الكونية وتصاريف الوجود بيده ـ سبحانه ـ وحده، فيشهده مالك الضر والنفع والخلق والرزق والإحياء والإماتة ، فيتخذه وحده وكيلاً، ويرضى به رباً ومدبراً وكافياً،وعند ذلك إذا وقع نظره على شيء من المخلوقات دله على خالقه وبارئه وصفات كماله ونعوت جلاله،فلا يحجبه خلقه عنه ـ سبحانه وتعالى ـ ، بل يشعر كأن كل المخلوقات تناديه بلسان الحال اسمع شهادتي لمن أحسن كل شيء خلقه فأنا صنع الله الذي أتقن كل شيء ، فإذا استمر له ذلك فتح عليه باب **القبض والبسط** فيقبض عليه حتى يجد ألم القبض لقوة وارده ثم يقبض وعاءه بأنوار الوجود فيفنى عن وجوده وينمحي كما يمحو نور الشمس نور الكواكب،ويطوي الكون عن قلبه بحيث لا يبقى فيه إلا حب الله الواحد القهار وقصده في جميع أعماله الظاهرة والباطنة،وتفيض أنوار المعرفة والمعاملة والصدق والإخلاص والمحبة من قلبه كما يفيض نور الشمس عن جرمها، فيغرق حينئذ في الأنوار كما يغرق راكب البحر في البحر، وذلك إنما يكون في الرياضة والمجاهدة وزوال أحكام الطبيعة وطول الوقوف في الباب ، وهذا هو من علم اليقين لا من عين اليقين ولا من حق اليقين إذ لا سبيل إليهما في هذه الدار .

فإن استمر على حاله واقفاً بباب مولاه لا يلتفت عنه يميناً ولا شمالاً ولا يجيب غير من يدعوه إليه ويعلم أن الأمر وراء ذلك وأنه لم يصل بعد ومتى توهم أنه قد وصل انقطع عنه المزيد **رجى أن يفتح له فتح آخر هو فوق ما كان فيه، مستغرقاً قلبه في أنوار مشاهدة الجلال بعد ظهور** أنوار الوجود الحق ومحو وجوده هو ولا يتوهم أن وجود صفاته وذاته تبطل بل الذي يبطل هو وجوده النفساني الطبعي ويبقى له وجود قلبي روحاني ملكي فيبقى قلبه سابحاً في بحر من أنوار آثار الجلال ، فتنبع الأنوار من باطنه كما ينبع الماء من العين ، حتى يجد الملكوت الأعلى كأنه في باطنه وقلبه ويجد قلبه عالياً على ذلك كله صاعداً إلى

من ليس فوقه شيء ، **ثـم** يرقيه الله سبحانه **فيشهده أنوار الإكرام** بعد ما شهد أنوار الجلال فيستغرق في نور من أنوار أشعة الجمال ، وفي هذا المشهد يذوق المحبة الخاصة الملهبة للأرواح والقلوب فيبقى القلب مأسوراً في يد حبيبه ووليه ممتحناً بحبه وإن شئت أن تفهم ذلك تقريباً فانظر إليك وإلى غيرك وقد امتحنت بصورة بديعة الجمال ظاهراً وباطناً فملكت عليك قلبك وفكرك وليلك ونهارك فيحصل لك نار من المحبة فتضرم في أحشائك يعز معها الاصطبار ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء .

فيـاله من قلب ممتحن مغمور مستغرق بما ظهر له من أشعة أنوار الجمال الأحدى والناس مفتونون ممتحنون بما يفنى من المال والصور والرياسة معذبون بذلك قبل حصوله وحال حصوله وبعد حصوله، وأعلاهم مرتبة من يكون مفتوناً بالحور العين أو عاملاً على تمتعه في الجنة بالأكل والشرب واللباس والنكاح ، **وهذا المحب قد ترقى في درجات المحبة على أهل المقامات** ، ينظرون إليه في الجنة كما ينظرون إلى الكوكب الدري الغابر في الأفق لعلو درجته وقرب منزلته من حبيبه ومعيته معه ـ فإن المرء مع من أحب ـ ولكل عمل جزاء ، وجزاء المحبة المحبة والوصول والاصطناع والقرب ، فهذا هو الذي يصلح وكفى بذلك شرفاً وفخراً في عاجل الدنيا ـ **فـما ظنـك بمقامـاتهم العـاليـة عند مليك مـقـتـدر** ـ فكيف إذا رأيتهم في موقف القيامة وقد أسمعهم المنادي لينطلق كل قوم مع ما كانوا يعبدون فيبقون في مكانهم ينتظرون معبودهم وحبيبهم الذي هو أحب شيء إليهم حتى يأتيهم فينظرون إليه ويتجلى لهم ضاحكاً .

والمقصود أن هذا العبد لا يزال الله يرقيه طبقاً بعد طبق ومنزلاً بعد منزل إلى أن يوصله إليه ويمكن له بين يديه أو يموت في الطريق فيقع أجره على الله ، فالسعيد كل السعيد والموفق كل الموفق من لم يلتفت عن ربه ـ تبارك وتعالى ـ يميناً ولا شمالاً ولا اتخذ سواه رباً ولا وكيلاً ولا حبيباً ولا مدبراً ولا حكماً ولا ناصراً ولا رازقاً .

وجميع ما تقدم من مراتب الوصول إنما هي شواهد وأمثلة إذا تجلت له الحقائق في الغيب بحسب استعداده ولطفه ورقته من حيث لا يراها ، ظهر من تجليها شاهد في قلبه وذلك الشاهد دال عليها ليس هو عينها،فإن نور الجلال والإكرام في القلب ليس هو نور ذي الجلال في الخارج ، فالله لا تقوم له السماوات والأرض ولو ظهر للوجود لتدكدك ، لكنه شاهد دال على ذلك كما أن المثل الأعلى شاهد دال على الذات ، والحق وراء ذلك كله منزه عن حلول واتحاد ومازجة لخلقه ، وإنما تلك رقائق وشواهد تقوم بقلب العارف تدل على قرب الالطاف منه في عالم الغيب حيث يراها [١] .

وجملة أمر القوم أنهم قوم قد امتلأت قلوبهم من معرفة الله وغمرت بمحبته وخشيته وإجلاله ومراقبته؛ فسرت المحبة في أجزائهم فلم يبق فيها عرق ولا مفصل إلا وقد دخله الحب، قد أنساهم حبه ذكر غيره وأوحشهم أنسهم به عمن سواه ، قد فنا بحبه عن حب من سواه ، وبذكره عن ذكر من سواه ، وبخوفه وخشيته ورجائه والرغبة إليه والرهبة منه والتوكل عليه والإنابة إليه والسكون إليه والتذلل والانكسار بين يديه عن تعلق ذلك منهم بغيره .

فإذا جاء وقت النوم وحق الجسد ووضع أحدهم جنبه على مضجعه استرجع كل ما فعله طوال يومه فإن وجد فيها من خير حمد ربه وشكره عليها ليحفظ نعم الله عليه وينال المزيد ، وإن وجد فيه من سيئات أو حتى مجرد غفلة عن ذكر ربه **استغفر وتاب** لعل الله برحمته يبدلها حسنات ؛ ثم بقي يذكر ربه بالأذكار الواردة عن حبيبه رسول الله ـ **محمد** ـ ﷺ ـ ؛ **ومنها** : قراءة آية الكرسي « فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ـ رضي الله عنه ـ قَالَ وَكَّلَنِي رَسُولُ اللَّه ـ ﷺ ـ بِحِفْظِ زَكَاةِ رَمَضَانَ فَأَتَانِي آتٍ فَجَعَلَ يَحْثُو مِنَ الطَّعَامِ فَأَخَذْتُهُ ، فَقُلْتُ : لأَرْفَعَنَّكَ إِلَى رَسُولِ اللَّه ـ ﷺ ـ فَقَصَّ الْحَدِيثَ ، فَقَالَ : إِذَا أَوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ فَاقْرَأْ آيَةَ الْكُرْسِيِّ لَنْ يَزَالَ مَعَكَ مِنَ اللَّهِ

(١) مدارج السالكين ـ بتصرف .

حافظٌ ولا يَقرَبُكَ شيطانٌ حتَّى تُصْبِحَ ، قَالَ النَّبيُّ ﷺ : صَدَقَكَ وَهُوَ كَذُوبٌ ذَاكَ شَيْطَانٌ »(١) ، و« مَنْ قَرأَ بالآيتينِ من آخرِ سُورةِ البَقرةِ في لَيْلَةٍ كفتاه »(٢) ، و« عن عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال : يؤتى الرجل في قبره فتؤتى رجلاه فتقول ليس لكم على ما قبلي سبيل كان يقرأ سورة الملك ، ثم يؤتى من قبل صدره أو قال بطنه فيقول ليس لكم على ما قبلي سبيل كان يقرأ في سورة الملك ، ثم يؤتى من قبل رأسه فيقول ليس لكم على ما قبلي سبيل كان يقرأ في سورة الملك ، فهي المانعة تمنع عذاب القبر وهي في التوراة سورة الملك من قرأها في ليلة فقد أكثر وأطيب »(٣) .

وقال رسول الله ـ ﷺ : « اقرأ ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ﴾ ثم نم على خاتمتها فإنها براءة من الشرك »(٤) ، و« عَنْ أم المؤمنين عَائشَةَ ـ رضي الله عنها ـ أَنَّ النَّبيَّ ﷺ ـ كَانَ إِذَا أَوَى إِلَى فِرَاشِهِ كُلَّ لَيْلَةٍ جَمَعَ كَفَّيْهِ ثُمَّ نَفَثَ فِيهِمَا فَقَرأَ فِيهِمَا ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ و﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴾ و﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴾ ثُمَّ يَمْسَحُ بِهِمَا مَا اسْتَطَاعَ مِنْ جَسَدِهِ يَبْدَأُ بِهِمَا عَلَى رَأْسِهِ وَوَجْهِهِ وَمَا أَقْبَلَ مِنْ جَسَدِهِ يَفْعَلُ ذَلِكَ ثَلاثَ مَرَّاتٍ »(٥) .

و« كان رسول الله ـ ﷺ ـ إذا أراد أن يرقد وضع يده اليمنى تحت خده ثم يقول اللهم قني عذابك يوم تبعث عبادك ، ثلاث مرات »(٦) ، و« كَانَ النَّبِيُّ ـ ﷺ ـ إِذَا أَوَى إِلَى فِرَاشِهِ قَالَ : اللَّهُمَّ بِاسْمِكَ أَحْيَا وَأَمُوتُ »(٧) ، و« عَنْ عَلِيٍّ أَنَّ فَاطِمَةَ ـ رضي الله عنها ـ شَكَتْ مَا تَلْقَى فِي يَدِهَا مِنَ الرَّحَى ، فَأَتَتِ النَّبِيَّ ﷺ تَسْأَلُهُ خَادِماً ، فَلَمْ تَجِدْهُ ، فَذَكَرَتْ ذَلِكَ لِعَائِشَةَ ، فَلَمَّا جَاءَ أَخْبَرَتْهُ ، قَالَ : فَجَاءَنَا وَقَدْ أَخَذْنَا مَضَاجِعَنَا ، فَذَهَبْتُ أَقُومُ فَقَالَ : مَكَانَكِ ، فَجَلَسَ بَيْنَنَا حَتَّى وَجَدْتُ بَرْدَ قَدَمَيْهِ عَلَى صَدْرِي ، فَقَالَ : أَلا أَدُلُّكُمَا عَلَى مَا هُوَ خَيْرٌ لَكُمَا مِنْ خَادِمٍ ،

(١) ، (٢) متفق عليه .
(٣) صحيح الترغيب والترهيب
(٤) صحيح سنن أبي داود .
(٥) متفق عليه .
(٦) صحيح سنن أبي داود .
(٧) البخاري .

إِذَا أَوَيْتُمَا إِلَى فِرَاشِكُمَا ، أَوْ أَخَذْتُمَا مَضَاجِعَكُمَا ، فَكَبِّرَا ثَلاثاً وَثَلاثِين ، وَسَبِّحَا ثَلاثاً وَثَلاثِينَ ، وَاحْمَدَا ثَلاثاً وَثَلاثِين ، فَهَذَا خَيْرٌ لَكُمَا مِنْ خَادِمٍ » ، وَعَنْ شُعْبَةَ عَنْ خَالِدٍ عَنِ ابْنِ سِيرِينَ قَالَ : التَّسْبِيحُ أَرْبَعٌ وَثَلاثُونَ » (١) ، وقال عليٌّ بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ : فما تركتهن منذ سمعتهن من رسول الله ـ ﷺ ـ قيل له : ولا ليلة صفين !؟ ، قال : ولا ليلة صفين » (٢) .

و« عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ـ رضي الله عنه ـ عَنِ النَّبِيِّ ـ ﷺ ـ إِذَا أَرَادَ أَحَدُنَا أَنْ يَنَامَ أَنْ يَضْطَجِعَ عَلَى شِقِّهِ الأَيْمَنِ ثُمَّ يَقُولُ : اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَوَاتِ وَرَبَّ الأَرْضِ وَرَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ، رَبَّنَا وَرَبَّ كُلِّ شَيْءٍ ، فَالِقَ الْحَبِّ وَالنَّوَى وَمُنْزِلَ التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ وَالْفُرْقَانِ ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ كُلِّ شَيْءٍ أَنْتَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهِ ، اللَّهُمَّ أَنْتَ الأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ وَأَنْتَ الآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ وَأَنْتَ الْبَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ ، اقْضِ عَنَّا الدَّيْنَ وَأَغْنِنَا مِنَ الْفَقْرِ »(٣) .

وكان رَسُولُ اللَّه ـ ﷺ ـ إِذَا أَوَى إِلَى فِرَاشِهِ قَالَ : « الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَطْعَمَنَا وَسَقَانَا وَكَفَانَا وَآوَانَا فَكَمْ مِمَّنْ لاَ كَافِيَ لَهُ وَلاَ مُئْوِيَ » (٤) ، وقَال أيضاً : « إِذَا أَوَى أَحَدُكُمْ إِلَى فِرَاشِهِ فَلْيَأْخُذْ دَاخِلَةَ إِزَارِهِ فَلْيَنْفُضْ بِهَا فِرَاشَهُ وَلْيُسَمِّ اللَّهَ فَإِنَّهُ لاَ يَعْلَمُ مَا خَلَفَهُ بَعْدَهُ عَلَى فِرَاشِهِ ، فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَضْطَجِعَ فَلْيَضْطَجِعْ عَلَى شِقِّهِ الأَيْمَنِ ، وَلْيَقُلْ سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبِّي ، بِكَ وَضَعْتُ جَنْبِي وَبِكَ أَرْفَعُهُ ، إِنْ أَمْسَكْتَ نَفْسِي فَاغْفِرْ لَهَا ، وَإِنْ أَرْسَلْتَهَا فَاحْفَظْهَا بِمَا تَحْفَظُ بِهِ عِبَادَكَ الصَّالِحِينَ» (٥) .

وقال أيضاً : « ... إِذَا أَوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ فَقُلْ : اللَّهُمَّ أَسْلَمْتُ نَفْسِي إِلَيْكَ ، وَوَجَّهْتُ وَجْهِي إِلَيْكَ وَفَوَّضْتُ أَمْرِي إِلَيْكَ ، وَأَلْجَأْتُ ظَهْرِي إِلَيْكَ ، رَغْبَةً وَرَهْبَةً إِلَيْكَ ، لاَ مَلْجَأَ وَلاَ مَنْجَا مِنْكَ إِلاَّ إِلَيْكَ ، آمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ ،

---

(١) متفق عليه . (٢) صحيح الكلم الطيب .

(٣) (٤) مسلم . (٥) البخاري .

وَبنَبيِّكَ الَّذى أرْسَلْتَ ، فَإنَّكَ إنْ مُتَّ فِى لَيْلَتِكَ مُتَّ عَلَى الْفطْرَة ، وإنْ أصْبَحْتَ أصَبْتَ أجْراً »(١) ،و« قال أبو بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ يا رسول الله مرني بكلمات أقولهن إذا أصبحت وإذا أمسيت ، قال : قل اللهم فاطر السماوات والأرض عالم الغيب والشهادة ، رب كل شيء ومليكه ، أشهد أن لا إله إلا أنت ، أعوذ بك من شر نفسي ومن شر الشيطان وشركه ، قال : قلها إذا أصبحت وإذا أمسيت وإذا أخذت مضجعك »(٢) .

وعن عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ أن رسول الله ـ ﷺ ـ كان إذا أخذ مضجعه من الليل قال : « الحمد لله الذي كفاني وآواني وأطعمني وسقاني، والذي منَّ عليَّ فأفضل والذي أعطاني فأجزل ، الحمد لله على كل حال ، اللهم رب كل شيء ومليكه وإله كل شيء أعوذ بك من النار »(٣)،وقال رسول الله ـ ﷺ : « من قال إذا أوى إلى فراشه : الحمد لله الذي كفاني وآواني، الحمد لله الذي أطعمني وسقاني،الحمد لله الذي منَّ علي وأفضل، االلهم إنى أسألك بعزتك أن تنجني من النار ، فقد حمد الله بجميع محامد الخلق كلهم »(٤) ،وقال أيضاً:« من أوى إلى فراشه طاهراً وذكر الله تعالى حتى يدركه النعاس لم ينقلب ساعة من الليل يسأل الله شيئاً من خير الدنيا والآخرة ، إلا أعطاه إياه »(٥).

وقال أيضاً : « من قال حين يأوي إلى فراشه : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر،غفرت له ذنوبه أو خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر »(٦) ، و « عَنْ عَبْد اللَّه بْن عُمَرَ ـ رضي الله عنهما ـ أَنَّهُ أَمَرَ رَجُلاً إِذَا أَخَذَ مَضْجَعَهُ أن يقول : اللَّهُمَّ خَلَقْتَ نَفْسي وَأَنْتَ تَوَفَّاهَا ، لَكَ مَمَاتُهَا وَمَحْيَاهَا ،إِنْ أَحْيَيْتَهَا فَاحْفَظْهَا ، وَإِنْ أَمَتَّهَا فَاغْفِرْ لَهَا ،

(١) متفق عليه .
(٢) صحيح سنن أبى داود.
(٣) صحيح سنن ابو داود .
(٤) السلسلة الصحيحة .
(٥) صحيح الكلم الطيب .
(٦) صحيح الترغيب والترهيب .

اللَّهُمَّ إِنِّى أَسْأَلُكَ الْعَافِيَةَ »(١) .

و« **سَيِّدُ الاسْتِغْفَارِ أَنْ تَقُولَ اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّى ، لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ ، خَلَقْتَنِى وَأَنَا عَبْدُكَ ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَىَّ وَأَبُوءُ بِذَنْبِى ، اغْفِرْ لِى ، فَإِنَّهُ لاَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ أَنْتَ ، قَالَ : وَمَنْ قَالَهَا مِنَ النَّهَارِ مُوقِناً بِهَا فَمَاتَ مِنْ يَوْمِهِ قَبْلَ أَنْ يُمْسِىَ فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ ، وَمَنْ قَالَهَا مِنَ اللَّيْلِ وَهُوَ مُوقِنٌ بِهَا فَمَاتَ قَبْلَ أَنْ يُصْبِحَ فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ** »(٢) .

ومن أهم الأشياء سلامة الصدر من الأحقاد « فعن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ قال : كنا يوماً جلوساً عند رسول الله ـ ﷺ ـ فقال : **يطلع عليكم الآن من هذا الفج رجل من أهل الجنة** ، قال : فطلع رجل من أهل الأنصار تنطف لحيته من وضوئه قد علق نعليه في يده الشمال فسلم،فلما كان الغد قال النبي ـ ﷺ ـ مثل ذلك ، فطلع ذلك الرجل على مثل المرة الأولى ، فلما كان اليوم الثالث قال النبي ـ ﷺ ـ مثل مقالته أيضاً فطلع ذلك الرجل على مثل حاله الأول ، فلما قام النبي ـ ﷺ ـ تبعه عبد الله بن عمرو بن العاص ـ رضي الله عنهما ـ فبات معه ثلاث ليال ليرى حاله ، قال أنس ـ رضي الله عنه ـ كان عبد الله يحدث أنه بات معه ثلاث ليال فلم يره يقوم من الليل شيئاً غير أنه إذا تعار انقلب على فراشه وذكر الله وكَبَّرَ حتى يقوم لصلاة الفجر ، قال عبد الله غير أني لم أسمعه يقول إلا خيراً ، فلما مضت الثلاث وكاد عبد الله ابن عمرو بن العاص ـ رضي الله عنهما ـ يحتقر عمله، قلت : يا عبد الله ، إنى سمعت رسول الله ـ ﷺ ـ يقول ثلاث مرات : «**يطلع الآن عليكم رجل من أهل الجنة**»، فطلعت ثلاث مرات فأردت أن آوي إليك لأنظر ما عملك فأقتدي بك ، فلم أرك تعمل كبير عمل ، فما الذي بلغ بك ما قال رسول الله ـ ﷺ ـ قال: ما هو إلا ما رأيت ، قال : فانصرفت عنه فلما وليت دعاني فقال : ما هو إلا ما رأيت غير أني لا أجد

(١) مسلم. (٢) البخاري.

في نفسي على أحد من المسلمين غشاً ولا أحسده على ما أعطاه الله إياه إليه ، فقال عبد الله : هذه التي بلغت بك وهي التي لا نطيق »[١] .

وقال رسول الله ـ ﷺ : « **ليس من عمل يوم إلا وهو يختم عليه ، فإذا مرض المؤمن قالت الملائكة : يا ربنا عبدك فلان قد حبسته ، فيقول الرب : اختموا له على مثل عمله حتى يبرأ أو يموت** »[٢] ، وقال : « ... **وَإِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالخَوَاتِيمِ** »[٣] ، وقال أيضاً : « **يُبْعَثُ كُلُّ عَبْدٍ عَلَى مَا مَاتَ عَلَيْهِ** »[٤] .

وبالجملة :فلا يزال يذكر الله ـ عز وجلَّ ـ على فراشه حتى يغلبه النوم وهو يذكر الله محتسباً نومه كما يحتسب قيامه،كما قال أبو موسى الأشعري لمعاذ بن جبل ـ رضي الله عنهما ـ لما بعثهما النبي ـ ﷺ ـ إلى اليمن« ...**أَمَّا أَنَا فَأَنَامُ وَأَقُومُ فَأَحْتَسِبُ نَوْمَتِي كَمَا أَحْتَسِبُ قَوْمَتِي...** »[٥]، فهذا منامه عبادة وزيادة له في قربه من الله .

فشتان بين قلب يبيت عند ربه قد قطع في سفره إليه بيداء الأكوان وخرق حجب الطبيعة ، ولم يقف عند رسم ولا سكن إلى علم ، قد صعدت أنفاسه إلى إلهه ومولاه واجتمع همه عليه متذكراً صفاته العلى وأسماءه الحسنى ومشاهداً له في أسمائه وصفاته ، قد تجلت على قلبه أنوارها فانصبغ قلبه بمعرفته ومحبته ، فبات جسمه في فراشه يتجافى عن مضجعه وقلبه قد أوى إلى مولاه وحبيبه فآواه إليه وأسجده بين يديه خاضعاً خاشعاً ذليلاً منكسراً من كل جهة من جهاته ، حتى دخل على ربه في داره فشاهد عز سلطانه وعظمة جلاله وعلو شأنه وبهاء كماله .

وهو مستو على عرشه يدبر أمر عباده وتصعد إليه شئون العباد وتعرض عليه حوائجهم وأعمالهم فيأمر فيها بما يشاء فينزل الأمر من عنده نافذاً ، فيشاهد الملك الحق قيوماً بنفسه،مقيماً لكل ما سواه،غنياً عن كل من سواه،وكل من سواه

---

(١) مصنف عبد الرازق والبيهقي في الشعب.
(٢) صحيح الجامع.
(٣) البخاري .
(٤) مسلم.
(٥) البخاري.

فقير إليه ، يسأله من في السموات والأرض كل يوم هو في شأن ، يغفر ذنباً، ويفرج كرباً،ويفك عانياً وينصر ضعيفاً،ويُجبر كسيراً،ويُغني فقيراً،ويُميت ويحُيي،ويُسعد ويُشقي،ويُضل ويهدي،ويُنعم على قوم ويسلب نعمته عن آخرين،ويُعز أقواماً ويُذل آخرين،ويرفع أقواماً ويضع آخرين ، ويشهده كما أخبر عنه أعلم الخلق به وأصدقهم في خبره حيث يقول في الحديث الصحيح «**يمين الله ملأى لا يغيضها نفقة، سحاء الليل والنهار، أرأيتم ما أنفق منذ خلق الخلق ، فإنه لم يغض ما في يمينه ، وبيده الأخرى الميزان يخفض ويرفع** » .

فيشاهده كذلك يقسم الأرزاق ويجزل العطايا ويمن بفضله على من يشاء من عباده بيمينه،وباليد الأخرى الميزان يخفض به من يشاء ويرفع به من يشاء، عدلاً منه وحكمة لا إله إلا هو العزيز الحكيم،فيشهده وحده القيوم بأمر السموات والأرض ومن فيهن،ليس له بواب فيستأذن، ولا حاجب فيدخل عليه، ولا وزير فيؤتى،ولا ظهير فيستعان به، ولا ولي من دونه فيشفع به إليه،ولا نائب عنه فيعرفه حوائج عباده، ولا معين له فيعاونه على قضائها، أحاط ـ سبحانه ـ بها علماً ووسعها قدرة ورحمة، فلا تزيده كثرة الحاجات إلا جوداً وكرماً، ولا يشغله منها شأن ، عن شأن ولا تغلطه كثرة المسائل ، ولا يتبرم بإلحاح الملحين ، لو اجتمع أول خلقه وآخرهم وإنسهم وجنهم وقاموا في صعيد واحد ثم سألوه فأعطى كل واحد منهم مسألته ما نقص ذلك مما عنده ذرة واحدة إلا كما ينقص المخيط إذا غمس في البحر.

ولو أن أولهم وآخرهم وإنسهم وجنهم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منهم ما زاد ذلك في ملكه شيئاً ، ذلك بأنه الغني الجواد الماجد،فعطاؤه كلام،وعذابه من كلام ، إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون ، ويشهده ﷺ أخبر عنه أيضاً الصادق المصدوق حيث يقول: إن الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام،يخفض القسط ويرفعه، يرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار،وعمل النهار قبل عمل الليل ، حجابه النور، لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما أدركه بصره من خلقه.

وبالجملة : فيشهده في كلامه، فقد تجلى ـ سبحانه وتعالى ـ لعباده في كلامه وتراءى لهم وتعرف إليهم فيه .

فإذا استيقظ هذا القلب من منامه صعد إلى الله بهمه وحبه وأشواقه،مشتاقاً إليه،طالباً له،محتاجاً إليه،عاكفاً عليه، فحاله كحال المحب الذي غاب عن محبوبه الذي لا غنى له عنه ولا بد له منه وضرورته إليه أعظم من ضرورته إلى النفس والطعام والشراب،فإذا نام غاب عنه، فإذا استيقظ عاد إلى الحنين إليه وإلى الشوق الشديد والحب المقلق ، فحبيبه آخر خطراته عند منامه وأولها عند استيقاظه .

قال المحب :

وآخر شيء أنت في كل هجعة وأول شيء أنت عند هبوبي

ثم يعود إلى عادته الأولى من عبوديته وافتقاره إلى ربه ومولاه في جميع شئونه،مع قيامه بحقوق العباد من عيادة المرضى،وتشييع الجنائز،وإجابة الدعوة، والمعاونة لهم بالجاه والبدن والنفس والمال، وزيارتهم وتفقدهم،والقيام بحقوق أهله وعياله و... فهو متنقل في منازل العبودية كيف نقلّه فيها الأمر ، فإذا وقع منه تفريط في حق من حقوق الله بادر إلى الاعتذار والتوبة والاستغفار ومحوه ومداواته بعمل صالح يزيل أثره ، فهذا وظيفته دائماً .

وإذا كان العبد كذلك فيرجى له أن يكون من المقصودين بقول رسول الله ﷺ : « **ليس شيء خيراً من ألف مثله إلا الإنسان** »[1] .

وفي الختام أخي الحبيب:

وقد ذكرنا بعضاً من أسباب السبق الموصلة إلى القرب من الله ـ تبارك وتعالى ـ ومن حبيبه وصفيه من خلقه وخليله ـ **محمد** ـ ﷺ ـ في الجنة ، وما هي إلا أسباب وقد أُمرنا بالأخذ بها ،ومع ذلك ففضل الله عز وجلّ ـ ورحمته أرجى لنا ،

---

(١) صحيح الجامع.

قَالَ رَسُولُ اللَّه ـ ﷺ ـ : « **لَنْ يُدْخِلَ أَحَداً عَمَلُهُ الْجَنَّةَ** ، قَالُوا : وَلاَ أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّه ، قَالَ : **لاَ وَلاَ أَنَا ، إِلاَّ أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللَّهُ بِفَضْلٍ وَرَحْمَةٍ ، فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا ، وَلاَ يَتَمَنَّيَنَّ أَحَدُكُمُ الْمَوْتَ ، إِمَّا مُحْسِناً فَلَعَلَّهُ أَنْ يَزْدَادَ خَيْراً ، وَإِمَّا مُسِيئاً فَلَعَلَّهُ أَنْ يَسْتَعْتِبَ** » (١) ، وفي رواية أخرى عند البخاري « **لَنْ يُنَجِّيَ أَحَداً مِنْكُمْ عَمَلُهُ** ، قَالُوا : وَلاَ أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّه ، قَالَ ، **وَلاَ أَنَا ، إِلاَّ أَنْ يَتَغَمَّدَنِيَ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ ، سَدِّدُوا وَقَارِبُوا ، وَاغْدُوا وَرُوحُوا وَشَيْءٌ مِنَ الدُّلْجَةِ ، وَالْقَصْدَ الْقَصْدَ تَبْلُغُوا** » (٢) ، وعند مسلم « **سَدِّدُوا وَقَارِبُوا وَأَبْشِرُوا ، فَإِنَّهُ لَنْ يُدْخِلَ الْجَنَّةَ أَحَداً عَمَلُهُ** ، قَالُوا : وَلاَ أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّه ، قَالَ : **وَلاَ أَنَا ، إِلاَّ أَنْ يَتَغَمَّدَنِيَ اللَّهُ مِنْهُ بِرَحْمَةٍ ، وَاعْلَمُوا أَنَّ أَحَبَّ الْعَمَلِ إِلَى اللَّهِ أَدْوَمُهُ وَإِنْ قَلَّ** » .

فالتوفيق للأعمال الصالحة والهداية للإخلاص فيها وقبولها إنما هو برحمة الله وفضله ، فيصح أنه لن يدخل أحد الجنة بمجرد العمل ، ويصح أنه يدخل بسبب العمل ، والعمل من رحمة الله ـ تبارك وتعالى ـ وفضله ـ ، ويفهم من الحديث أيضاً أن العبد لا ينبغي أن يتكل على عمله في طلب النجاة ونيل الدرجات ؛ لأنه إنما عمل بتوفيقٍ من الله، وإنما ترك المعصية بعصمة الله ـ **فكل ذلك بفضله ورحمته ـ لكن علينا السعي والاجتهاد والمجاهدة قدر الوسع** باغتنام الساعات والأيام والليالي والشهور الفاضلة **مع الاقتصاد في الأمور ، والتزام الطريق الوسط المعتدل ، والاستدامة عليه** .

قال الشاعر:

إن بيتاً أنت ساكنه ... لا يحتاج إلى السرج

وجهك المأمول حُجتنا ... يوم يأتي الناس بالحجج

هذا وما كان في هذا الكتاب من خيرٍ فهو من الله عز وجلَّ ومن هدى عبده وخليله ورسوله ـ **محمد** ـ ﷺ ـ ، وما كان غير ذلك فمني ومن الشيطان ،

(١) متفق عليه .

(٢) فتح الباري ، بتصرف .

والله ورسوله منه براء ، والحمد لله أولاً وآخراً ، ظاهراً وباطناً ، حمداً طيباً مباركاً فيه كما يحب ربنا ويرضى ، وكما ينبغي لجلال وجهه الكريم وعظيم سلطانه ، وكما أثنى هو على نفسه،سبحانه لا نحصى ثناءً عليه هو كما أثنى على نفسه ، غير مَكفيٍ ولا مكفورٍ ولا مُوَدَّعٍ ولا مستغنى عنه ربنا .

وأسألُ الله العظيم أن يجعل ما قصدت في هذا الكتاب بل وفى جميع أمور حياتي ومماتي خالصاً لوجهه الكريم ، وألا يجعل لأحد من خلقه منه شيئاً ، وتأدية لحق النصيحة علىَّ تجاه الله وتجاه رسوله وتجاه كتابه وتجاه إخوانى المؤمنين ، إنه ولىُّ ذلك والقادر عليه وهو وحده حسبي ونعم الوكيل .

ويا أيها القارىء الكريم ما وجدت من خيرٍ في هذا الكتاب فاقبله ولا تلتفت إلى قائله، بل انظر إلى ما قال لا إلى من قال ، ودع عنك أي عصبية جاهلية، وقد ذم الله ـ تعالى ـ اليهود بردهم الحق إذا جاء ممن لا يحبونه ، وبقبوله إذا جاء ممن يحبونه ، وما وجدت فيه من خطأ فحسبي أنى لم آلُ جهداً للإصابة ، ومن عُدَّت غلطاته أقرب إلى الصواب ممن عدت إصاباته .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

جمع وترتيب

د. محمـــود سليمـــان

أستاذ مساعد بجامعة الأزهر الشريف

غفر الله له ولوالديه ولسائر المسلمين

المراجـــع

أولاً : القرآن العظيم :

ثانياً : كتب التفسير وعلوم القرآن:

- تفسير بن كثير، للإمام إسماعيل بن عمر بن كثير.
- التفسير القيم ، للإمام ابن قيم الجوزية.
- فتح القدير ، للإمام محمد بن على الشوكانى.
- الجامع لأحكام القرءان ، للإمام محمد بن أحمد القرطبى.
- في ظلال القرءان ، للشيخ سيد قطب.
- فضائل القرءان ، للإمام الفريابى .
- الإتقان في علوم القرءان ، للإمام جلال الدين السيوطى.

ثالثاً : كتب الحديث وشروحه :

- صحيح البخاري ، للإمام : محمد بن إسماعيل البخاري.
- صحيح مسلم ، للإمام مسلم بن حجاج القشيرى.
- سُنن الترمذي ، للإمام محمد بن عيسى الترمذي.
- سُنن بن ماجه ، للإمام محمد بن يزيد بن ماجه .
- سُنن أبى داود ، للإمام سليمان بن الأشعث السجستانى .
- سُنن النسائي ، للإمام أحمد بن شعيب الخراساني.
- مُسند أحمد ، للإمام أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني.
- صحيح سنن الترمذي ، للإمام محمد ناصر الدين الألباني.

- صحيح سنن ابن ماجة، للإمام محمد ناصر الدين الألباني.
- صحيح سنن أبى داود ، للإمام محمد ناصر الدين الألباني.
- صحيح سنن النسائي ، للإمام محمد ناصر الدين الألباني.
- صحيح الترغيب والترهيب ، للإمام محمد ناصر الدين الألباني.
- صحيح رياض الصالحين ، للإمام محمد ناصر الدين الألباني.
- صحيح الجامع ، للإمام محمد ناصر الدين الألباني.
- ضعيف الجامع ، للإمام محمد ناصر الدين الألباني.
- السلسلة الصحيحة ، للإمام محمد ناصر الدين الألباني.
- صحيح الأدب المفرد، للإمام محمد ناصر الدين الألباني.
- صحيح الكلم الطيب، للإمام محمد ناصر الدين الألباني.
- صحيح مشكاة المصابيح، للإمام محمد ناصر الدين الألباني.
- المستدرك ، للإمام أبو عبد الله الحاكم النيسابورى.
- صحيح بن حبان ، للإمام ابن حبان .
- صحيح بن خزيمة ، للإمام محمد بن إسحاق بن خزيمة.
- معجم الطبراني ، للإمام سليمان بن أحمد الطبراني.
- سُنن الدارمى ، للإمام عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل.
- مُسند الفردوس ، للإمام الدليمى.
- سُنن البيهقى ، للإمام أحمد بن الحسين البيهقى .
- مصنف بن أبى شيبة ، للإمام ابن أبى شيبة الكوفي .
- مجمع الزوائد، للإمام الهيثمى.
- مسند البزار، للإمام البزار.

- فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، للإمام ابن حجر العسقلانى .
- فيض القدير بشرح الجامع الصغير ، للإمام عبد الرؤف المناوى .
- جامع العلوم والحكم ، للإمام ابن رجب الحنبلي .
- تحفة الذاكرين ، للإمام محمد بن على الشوكانى .
- شرح الأربعين النووية ، للإمام ابن دقيق العيد .
- شرح رياض الصالحين، للشيخ محمد بن صالح بن العثيمين .

رابعاً : كتب التزكية:

- مدارج السالكين ، للإمام ابن قيم الجوزية .
- طريق الهجرتين، للإمام ابن قيم الجوزية .
- عدة الصابرين، للإمام ابن قيم الجوزية .
- بدائع الفوائد، للإمام ابن قيم الجوزية .
- الداء والدواء، للإمام ابن قيم الجوزية .
- زاد المعاد، للإمام ابن قيم الجوزية .
- الروح، للإمام ابن قيم الجوزية .
- الفوائد، للإمام ابن قيم الجوزية .
- الصلاة وحكم تاركها، للإمام ابن قيم الجوزية .
- الوابل الصيب من الكلم الطيب، للإمام ابن قيم الجوزية .
- روضة المحبين ونزهة المشتاقين، للإمام ابن قيم الجوزية .
- جلاء الأفهام في الصلاة والسلام على خير الأنام، للإمام ابن قيم الجوزية .
- اقتضاء العلم العمل ، للإمام الخطيب البغدادي .
- صفة الصفوة، ابن الجوزي .

- استنشاق نسيم الأنس من نفحات رياض القدس ، للإمام ابن الجوزى.
- مختصر منهاج القاصدين ، للإمام ابن قدامة المقدسى.
- إحياء علوم الدين ، للإمام أبو حامد الغزالي .
- مراصد الصلاة في مقاصد الصلاة ، للإمام القسطلاني.
- خُلُق المسلم ، للشيخ محمد الغزالي.
- عقيدة المسلم ، للشيخ محمد الغزالي.
- سوء الخُلق ، للشيخ محمد بن إبراهيم الحمد .
- لا تحزن ، للدكتور عائض القرني .
- المنطلق ، للأستاذ محمد أحمد الراشد.
- الأخوة في الله ، للأستاذ محمد أحمد الراشد.
- فقه السالكين ، للأستاذ جمال ماضي.
- فقه الخلاف بين المسلمين ، للدكتور ياسر برهامى.
- البحر الرائق في الزهد والرقائق، للدكتور أحمد فريد .
- الأخوة أيها الأخوة ، للشيخ محمد حسين يعقوب.
- روضة المحبين في رمضان ، للشيخ محمد حسين يعقوب.
- طوق النجاة، للدكتور مجدي الهلالي .
- كيف تسعدين زوجك ، للأستاذ محمد عبد الحليم حامد.
- صفقات رابحة ، للدكتور خالد أبوشادي .
- العشرة الطيبة مع الأولاد وتربيتهم ، للأستاذ محمد حسين .
- معالم في الطريق ، للشيخ سيد قطب .
- حقيقة الحج ، للشيخ وحيد الدين خان .

- في رحاب الإسلام . للأستاذ / حسام حميده .
- من ميراث النبوة دراسة تحليلية ، للدكتور إبراهيم على حسن داود ، الدكتور محمود توفيق محمد سعد .

خامساً : كتب الفقه وأصوله :

- الرسالة ، للإمام الشافعي .
- مجموع الفتاوى ، للإمام ابن تيمية .
- سبل السلام شرح بلوغ المرام ، للإمام محمد بن إسماعيل الصنعانى .
- فقه السنة ، للشيخ السيد سابق .
- مفاتيح الفقه في الدين ، للشيخ مصطفى العدوى .
- في فقه الأولويات ، للدكتور يوسف القرضاوى .
- الجهاد ميادينه وأساليبه ، للدكتور محمد نعيم ياسين .
- الإيمان أركانه ، حقيقته ، نواقضه للدكتور محمد نعيم ياسين .
- عمل المرأة وموقف الإسلام منه ، للشيخ عبد الرب نواب الدين .
- تحرير المرأة في عصر الرسالة ، للأستاذ عبد الحليم أبو شقة .
- حكم ولاية المرأة، للدكتور عبد الوهاب بن لطف الديلمى ، الشيخ محمد الصادق مغلس ، الشيخ محمد بن على الآنسى ، الشيخ حسن عبد الله .

سادساً : كتب السيرة النبوية :

- الرحيق المختوم، للشيخ صفى الرحمن المباركفورى .
- فقه السيرة، للشيخ محمد الغزالي .
- المنهج الحركي للسيرة النبوية ، للشيخ منير محمد الغضبان .
- السيرة النبوية ، للشيخ ابن هشام .

كتب : اللغة :

- لسان العرب، للإمام محمد بن منظورالمصرى.
- فقه اللغة، للإمام أبو منصور الثعالبي.
- الفروق اللغوية، للإمام أبوهلال العسكري.
- مجمع الألفاظ في القرءان الكريم، مجمع اللغة العربية .

سابعاً : متفرقات :

- الأسماء والصفات ، للإمام البيهقى .
- الشفا بتعريف حقوق المصطفى ، للإمام عياض بن موسى الأندلسى .
- المبشرات بانتصار الإسلام، للدكتور يوسف القرضاوى.
- الرسول والعلم، للدكتور يوسف القرضاوى.
- أولويات الحركة الإسلامية في المرحلة القادمة، للدكتور يوسف القرضاوى.
- ثقافة الداعية، للدكتور يوسف القرضاوى.
- دراسات إسلامية في العلاقات الاجتماعية والدولية ، للدكتور محمد عبد الله دراز.
- تربية الأولاد في الإسلام من الكتاب والسُّنَّة ،للدكتور محمود محمد عمارة.
- الأخوات المسلمات وبناء الأسرة، للشيخ خالد عبد الرحمن العك.
- دور المرأة في حفظ الحديث في القرون الثلاثة الأولى ، للدكتورة آمال قرداش بنت الحسين.
- عودة الحجاب ، للدكتور محمد أحمد إسماعيل المقدَم.
- المهدي وفقه أشراط الساعة ، للدكتور محمد أحمد إسماعيل المقدَم.
- لماذا نصلى ، للدكتور محمد أحمد إسماعيل المقدَم.

- التعصب الصليبي ، للدكتور عمر عبد العزيز قريشي .
- كيف تحتسبين الأجر ، للسيدة هناء بنت عبد العزيز الصنيع .
- قلب موصول بحب الرسول، للشيخ محمود المصري.
- أختاه ماذا قدمت لدين الله ، للشيخ محمود المصري .
- شكاوى وحلول، للشيخ محمد صالح المنجد.
- سلسلة أعمال القلوب ، للشيخ محمد صالح المنجد .
- المرأة في الإسلام ، للشيخ فيصل مولوي.
- حقائق إسلامية في مواجهة حملات التشكيك ، للدكتور محمود حمدي زقزوق.
- عقائد الشيعة في ضوء الكتاب والسُّنَّة وصحيح التاريخ ، للدكتور مصطفى حلمي .
- كيف تكون مليونيراً بالحسنات .
- التمهيد لشرح كتاب التوحيد ، للشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ .
- مجلة البيان.
- مجلة التوحيد.

رحم الله أهل الإسلام جميعاً والعلماء منهم خصوصاً

ثامناً : كتب أخرى :

- البيريسترويكا ، ميخائيل جورباتشوف.
- الإنسان ذلك المجهول ، ألكسيس كاريل .